

حمامات مجهولت في مدينة القدس

د. خضر سلامة

مدير المكتبة الخالدية - البلدة القديمة من القدس

مقدمة

الحمام⁽¹⁾ هو مؤسسة قديمة، وترجع إلى الفترة الرومانية، ويتمثل دورها في النظافة والتواصل الاجتماعي، سواء للزواج أو غير ذلك، كما أن للحمام دوراً دينياً أساسياً لدى المسلمين، فكل من يعاشر زوجته «يصبح في حالة جنابة» «janaba major ritual impurity» ولا يحق له لمس المصحف أو الصلاة قبل أن يتطهر عن طريق الاستحمام، ومن هذه النقطة استمر وجود الحمام في جميع الفترات الإسلامية، وجميع الحمامات التي لا زال بناؤها قائماً في مدينة القدس ترجع إلى الفترة المملوكية⁽²⁾، وهذا لا يعني أنه لم يكن حمامات في الفترات

(1) عن الحمامات في التاريخ الإسلامي وتقسيماتها ووصفها في المراجع الإسلامية والرحالة والذي عرف في التاريخ باسم «الحمام التركي»، انظر على سبيل المثال:

J. Sourdel-Thomine and A. Louis, «Hammam», The Encyclopedia of Islam, 1986, vol. III, pp. 140–146.

(2) عن الحمامات في مدينة القدس انظر. امتياز ذيب، حمام العين القدس: مركز دراسات القدس، 2010؛

السابقة أو اللاحقة، وأغلب البيوت كانت تخلو من الحمامات، وكان الناس نساءً ورجالاً؛ كباراً وصغاراً يقصدون الحمامات، كل حسب إمكانياته، ولا نعرف كم من المرات كان الفرد يذهب إلى الحمام في كل شهر أو في كل سنة، فلا توجد إشارات من قريب أو من بعيد حول هذا الأمر، ونفترض أن الفقراء ليس بمقدورهم الذهاب إلى الحمام كل أسبوع، وعلى الأغلب أنهم كانوا يسكبون الماء على أجسادهم في بيوتهم. وإذا كان الحمام مشتركاً للجنسين، فقد كانت النساء في الأغلب تذهب للاستحمام من الظهر إلى المغرب، والرجال من المغرب إلى ظهر اليوم التالي⁽¹⁾.

تعتبر طائفة الحماميين من أبرز الطوائف الحرفية التي تعتنى بالإنسان، وهي تتصل بنظافته وصحته، وعليه فإن هندسة الحمام المعمارية تُسخر لهذه الغاية، ولعل أهم شخص في طاقم الحمام هو الرئيس أو المكيس والذي يمارس عمله في القسم الجواني من الحمام، وينحصر عمله في تحميم الزبون وتكيسه أو تلييفه.

يقوم التقسيم المعماري للحمام على أربعة أقسام، ولكل قسم وظيفة محددة، القسم البراني، ويتكون من ساحة مربعة الشكل مسقوفة، وأرضيتها مرصوفة بالبلاط الملون، وفيها يخضع المستحم ملابسه ويرتدي فوطتين، واحدة على الخصر والأخرى على الظهر، القسم الثاني وهو الوسطاني وفيه غرفة الماء الحار، حيث يصل إليها من خلال مجاز متعرج تجري فيه المياه الحارة، القسم الثالث ويعرف باسم القسم الجواني وفيه بيت النار وحوله مسطبة⁽²⁾،

كامل العسلي، من آثارنا في بيت المقدس، عمان: الجامعة الأردنية، 1982، ص: 163-217
Martin Dow, the Islamic Baths of Palestine, the British School of Archaeology in Jerusalem, Oxford University Press, 1996, Pp. 87- 98.

(1) نجاة قصاب حسن، حديث دمشق 1884-1983، دمشق: طلاس للدراسات والنشر، 1988، ص: 233.

(2) بناء مرتفع قليلاً للجلوس عليه، ونجد المساطب في ساحات المساجد وفي الحمامات كما وجدت أمام الحوانيت، محمد أمين ولبلي علي إبراهيم (اعداد)، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، القاهرة: الجامعة الأميركية، 1990، ص: 106، وسيرد لاحقاً محمد أمين، المصطلحات.

وفيهما يكون القميم (الوقاد)، وهو الذي يتحكم بتعديل الحرارة في الحّمّام، والقسم الأخير القميم، ويقع في طرف الحّمّام، وسمي بذلك اشتقاقاً من القمامة أي الزباله، حيث كان يتم تحمية الحّمّامات بروث الحيوانات ويعرف باسم «الجلّة» لأنه يشتعل بحرارة شديدة، وعمل القممي تلقيم الزبل من الطاقة التي يدخل منها الزبل، وهو جناح خارجي متصل بالحّمّام لتسخين الماء⁽¹⁾، ويسمى بيت النار، وهو موضع النار أو المستوقد، وهو مكان عبارة عن كتلة بنائية قد تكون مربعة أو أسطوانية، وهو ثلاثة أقسام، الجورة التي تشعل فيها النار (مكان النار)، وفوقها القدور النحاسية والتي فيها الماء الذي يزود الحّمّام بالماء الساخن، ويعلوها المدخنة التي تصل إلى فوق سطح الحّمّام، كما تعرف باسم «مستوقد»⁽²⁾. ويتحقق في هندسة الحّمّام التناسب بين الشكل والوظيفة، حيث كل شيء مصمم لتسخين الجسم التدريجي، والاحتفاظ بالحد الأعلى من البخار والحرارة اللازمين للاستحمام في وسط الاسترخاء الكامل، وعادة ما يتركز موقع الحّمّامات في مركز المدينة المتكون من الأحياء الكبيرة والأسواق أو قرب الأماكن المقدسة، ولأن تكاليف بناء الحّمّام باهظة، فقد كانت جميع الحّمّامات تتبع الوقف ويتم تأجيرها لمن يدفع أكثر، وبسبب كثرة الخدمات التي يتطلبها الحّمّام للجنسين، لذلك قد يصل عدد العاملين فيها إلى أحد عشر شخصاً، ولم يكن جميع العاملين في الحّمّام يتلقون أجره من المعلمين، بل كان بعضهم يعتمد على الإكراميات التي يتلقونها من المستحمين⁽³⁾.

ويمكن تلخيص خطوات الاستحمام فيما يلي، يدخل المستحم إلى القسم البراني، حيث

(1) نجاة حسن، حديث دمشقي، ص: 288.

(2) محمد أمين، المصطلحات، ص: 106.

(3) سامي عبد المالك البياضي، «الموروث الثقافي التاريخي في خدمة الاكتشافات التاريخية»، في كتاب، النصوص المطبوعة ودورها في صون الموروث الثقافي وتوظيفه في خدمة المجتمع، إعداد نادر سراج، بيروت: مرصد بيروت الحضري، 2010، ص: 163-165؛ محمد أمين، المصطلحات، ص: 37؛ عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، بيروت: جروس برس، 1988، ص: 138-144.

مكان خلع الملابس، ثم إلى الوسطاني ذي الحرارة المتوسطة، وهو من أجل التهيؤ للانتقال للحرارة الأعلى إلى القسم الجواني، وهو آخر مرحلة في الاستحمام، ثم يعود نفس الخطوات عكسياً عندما ينتهي من الحّمّام من الحار إلى الوسط إلى البارد.⁽¹⁾

حرفة الحّمّامين

وهي إحدى الحرف التي كانت منتشرة في المجتمعات الإسلامية، واستخدمت كلمة «طائفة» والتي تعني الجماعة، للإشارة إلى مجموعة من الأشخاص الذين يزاولون النشاط المهني ذاته داخل المدينة، وذلك تحت رئاسة شخص يتم اختياره من بينهم ويعرف بلقب «شيخ الطائفة».⁽²⁾

كان في مدينة القدس في القرن السابع عشر شيخ واحد مشترك للحلاقين والحّمّامين، فهما حرفتان في طائفة واحدة، وكان يتم اختيار الشيخ بناء على طلب العاملين في هاتين الحرفتين، ولا نعرف هل ذلك ناتج من ارتباط الحرفتين مع بعضهما البعض أم لا؟ ولكن على الأغلب أن عمل الحلاق كان يتم في الحّمّام، ومن هنا جاء ارتباط هاتين المهنتين بشيخ واحد، كما أن تأجير الحّمّامات كان يتم بمعرفة شيخ الحّمّامين، ويشترط في المستأجر الأهلية لهذا العمل، ففي سنة 1624 كان في القدس يعمل في حّمّاماتها خمسة عشر حلاقاً⁽³⁾، وهذا لا ينفى وجود حلاقين يعملون بشكل منفصل في أماكن خاصة بهم.

كان الرقابة تتم على الحّمّامات حتى لا يتم التلاعب بالأجرة، كما كانت النظافة تراقب

(1) نجاة حسن، حديث دمشقي، ص: 288.

(2) أندريه ريمون، الحرفيون التجار في القاهرة في القرن 18، ترجمة ناصر إبراهيم، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص: 375-377.

(3) محمود عطا الله، وثائق الطوائف الحرفية في القرن السابع عشر، نابلس: جامعة النجاح، 1991، ج1، ص: 86، عن (سجل 109، صورة 80، ص: 2/156)، والجدير بالذكر أن كتاب عطا الله جمع الوثائق التي تتعلق بالحّمّامين والحلاقين في الجزء الأول، ص: 86-96.

وربما بعد الشكاوى من المستخدمين، وتؤكد الوثائق على نظافة الفوط واستخدام البخور (سجل 6، صورة 306، ص: 7/712).

في الرجوع إلى وثائق القرن السابع عشر، يتضح لنا أن من الشروط التي كانت تفرض على مستأجري الحمامات، توفير فوط لونها أزرق «وزرة» تلف حول النصف السفلي من الجسم، أما الفوط التي ينشف بها الجسم فكان لونها أبيض، وهي على قياسين، الأولى 170×126 سم. وأخرى كبيرة بقياس 204×120 سم، وكان ينبّه على الحمامين بعدم إعطاء الزبائن فوط أو مناشف غير نظيفة، وأن يرفعوا درجة حرارة الحمام⁽¹⁾، وهذه الوثائق يستنتج منها أن شكاوى رفعت ضد مستأجري الحمامات، فخفض درجة الحرارة فيه رفع نسبة المرباح للمستأجر لأنه يوفر ثمن الوقود، كما وردت وثيقة تفيدنا بأنه كان ممنوعاً طرد أي من العاملين في الحمام إلا بمعرفة مهتار باشي⁽²⁾.

وتشير إحدى الوثائق التي تعود إلى سنة 1537، أن أجرة الحمام عن كل رجل كانت درهماً، واستحمام الرجل نصف درهم، وعن كل امرأة بالحناء درهمين، والاستحمام درهم⁽³⁾ ويفهم من الوثيقة أن دخول الحمام كان يقتضي دفع أجرة، والاستحمام تدفع عنه أجرة أخرى.

احتوت مدينة القدس في القرن السادس عشر على خمسة حمامات عاملة، حمام تنكز والشفا في سوق القطانين، حمام ستنا مريم بجانب باب الأسباط، حمام البطرك بحارة النصرى،

(1) انظر المرجع السابق، ص: 90-91، (سجل 85، صورة 78، ص: 1/149).

(2) انظر المرجع السابق، ص: 91؛ (سجل 84، صورة 272، ص: 3/538)، كلمة تركية تكتب باللغة العثمانية بدون ألف «مهر» بالتركية الحديثة «mihter»، وتعني المسؤول عن المكان أو المشرف على سير الأمور فيها بالطريقة المطلوبة.

انظر: Redhouse, Sir James, A Turkish and English Lexicon, P.2042.

(3) (سجل 7، صورة 109، ص: 3/211). كما نصّت الوثيقة على دفع غرامة ثمانية عثماني ويضرب 100 عصاة لمن يخالف التسعيرة.

حمام علاء الدين البصير إلى الشرق من سوق العطارين، وعلى الأغلب جميع هذه الحمامات تم توارثها منذ فترات تاريخية مبكرة، واستمرت في العصور الإسلامية اللاحقة، وكان يتم ترميمها من أجل استمرارها في العمل.

الواقع أنني لم أهتم بالحمامات في مدينة القدس، ولكنني بحكم دراستي اطلعت على وثائق تتعلق بتلك الحمامات خلال التحضير لكتابة أطروحة الدكتوراه في سجلات المحاكم الشرعية في القدس، وكنت أقوم بتدوين أرقام الصفحات والسجلات التي وردت فيها الحجج في ملف منفرد، على أمل أن أكتب مقالاً حولها مستقبلاً، ويبدو أن الفرصة الآن قد أتاحت لنشر هذا المقال.

الحمامات المندثرة من الفترتين المملوكية والعثمانية

سنتعرض في هذا المقال إلى عدة حمامات وجدت في المدينة القديمة من القدس في الفترات الماضية، وقد اندثرت ولم يعرف عن تفاصيلها إلا القليل، وذلك بناءً على معلومات متفرقة وردت عنها في سجلات المحكمة الشرعية في القدس في الفترة العثمانية، وهي حمام النبي داود وهو خارج سور القدس من الجنوب، حمام حارة اليهود، حمام درج العين، حمامي خاصكي سلطان، حمام باب العمود وحمام القاضي عبد الكريم.

1-حمام النبي داود / جبل صهيون

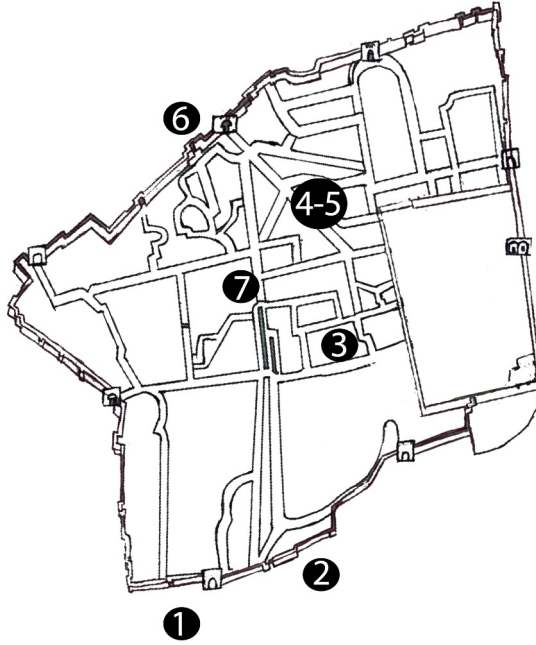
2-حمام حارة اليهود

3-حمام درج العين

4-5 حمامي خاصكي سلطان (نساء ورجال)

6-حمام باب العمود

7-حمام القاضي عبد الكريم



ورد في المصادر أسماء أكثر من حمام، ولكنها غير موجودة منذ قرون، وقد يكون تم استبدالها بالنقود (بيعتها) أو اندثرت بحكم عوادي الزمن، وتشير الوثائق أحياناً إلى حمام وأحياناً أخرى مستحم، ويبدو أن ذلك نابع من حجم الحمام، فقد وجد مستحم عرف باسم حمام درج العين لعائلة نسبية المقدسية، وموقعه كان في آخر طريق الواد، وأوقف العمل فيه في نهايات الفترة المملوكية، ومن الواضح بناء على تسميته وعلى مبلغ تأجيريه أنه كان صغير الحجم، ففي سنة 1538، تمت المزاودة على أجرته اليومية من 5، 7 حلبية إلى 15 حلبية (سجل 10، صورة 65، ص: 127، صورة 67، ص: 130 / 3)، كما ذكر أحياناً حمام الشفاء باسم «مستحم» أيضاً، وكان يعرف باسم حمام المتوضأ، وأجرته مقارنة للحمام درج العين (سجل 2، صورة 74، ص: 141 / 3) في حين أن أجره حمام العين أو حمام تنكز، بلغت في الفترة نفسها 115 حلبية في اليوم (سجل 10، صورة 113، ص: 223 / 6). سوف نتناول الحمامات بداية من الجنوب، أي حارة صهيون إلى حارة اليهود إلى آخر طريق الواد فحمامي طريق الآلام وحمام باب العمود ثم أخيراً حمام القاضي عبد الكريم.

- حَمَام النبي داود

حَمَام النبي داود الموقوف على قبة الصخرة⁽¹⁾، وهو قرب سكن الشيخ أحمد الدجاني بجبل النبي داود (خارج باب صهيون)، وقد أرسلت رسالة من خلال قاضي القدس إلى إستنبول، وعلى الأغلب أن ذلك تم بناء على طلب من الشيخ الدجاني، يشتكي فيها من قلة المياه في الحَمَام، لأن الحَمَام يعتمد على مياه الآبار التي لا تكون متوفرة إلا لمدة شهرين، وبالتالي يبقى الحَمَام متعطلاً باقي السنة، وأن قدوة السالكين الشيخ أحمد الدجاني يسكن قرب مرقد النبي داود، وهو بحاجة ماسة إلى الحَمَام، ورداً على الرسالة من المسؤولين في الأستانة، أجابوا بأنه يجب أن يتم إبلاغ السلطات بما يلي، هل كان يتم تزويد الحَمَام بالماء عند توزيع المياه؟ وإذا ما تم تزويد الحَمَام بالماء، فهل يترتب على ذلك ضرر بحق شرب باقي المستحقين؟ وما هي كمية المياه الكافية له؟ في 10 شعبان 967/ 6 أيار 1560.⁽²⁾

بعد أربع سنوات صدر حكم قاضي القدس من مضمونه، أنه بناء على الاستفسار الذي تم من أعيان البلاد، والذين شهدوا بأن إعطاء الحَمَام كمية كافية من الماء لن يلحق الضرر بحق الشرب لأهالي القدس، بل تتم الفائدة للأوقاف للصخرة، وقد كتبوا محضراً بذلك يطالبون فيه بصدور الأمر بمنح كمية المياه من الماء للحَمَام، وعليه صدر الأمر بتزويد الحَمَام بالماء على

(1) انظر كامل العسلي، من آثارنا، ص: 212؛ ويشير كوهين ولويس إلى أن الحَمَام كان يعرف بحَمَام الجمل، وفي القرن التاسع عشر استخدم كمصبنة، وأنه في حارة اليهود؟

Amnon Cohen and Bernard Lewis, Population and Revenue in the Towns of Palestine in the 16th Century, Princeton: Princeton University Press, 1978, p. 104

(2) بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفتر المهمة 951/ 1544 - 973/ 1566، إعداد وترجمة فاضل بيات، الجزء الأول، صفحة 200؛ كما ورد نص فرمان مترجماً إلى الإنكليزية في:

Uriel Heyd, Ottoman Documents on Palestine, 1552 - 1615, Oxford: the Clarendon Press, 1960, p. 149, No. 97.

ألا يلحق الضرر بحق الشرب لأهالي القدس، 29 محرم 972 / 5 أيلول 1564⁽¹⁾.

لا نعرف هل كان حَمَّام النبي داود حَمَّاماً عاماً أم خاصّاً بالشيخ الدجاني؟ وهل بني في العصر المملوكي أم العثماني؟ وما هو حجمه؟ ولا لأي سنة يعود؟ ففي المنطقة لم يحصل حفريات، كما أن المنطقة جرى عليها تغييرات، من خلال بيع دونمين من عائلة الدجاني في نهاية القرن التاسع عشر، من أجل بناء الكنيسة الألمانية وغيرهم، وقسم من المنطقة يستخدم كمقابر لأكثر من طائفة، والمنطقة بشكل عام غير مأهولة بالسكان، فهي تقع خارج أسوار المدينة، فحتى الآن لا يوجد وثائق تسعفنا بالمعلومات عن هذا الموضوع، فمنطقة النبي داود لم تكن مسكونة في القرن السادس عشر، باستثناء الشيخ الدجاني، وبعض من أفراد عائلته، أو ربا أقارب له أو مريرين، وطلب تزويد الماء للحمام كان من الضروريات اليومية، وربما كان الحمام يرجع للفترة المملوكية.

- حمام حارة اليهود

لم تُشر أيُّ من المصادر التي أتيج لي الاطلاع عليها إلى وجود حمام في مدينة القدس باسم «حمام حارة اليهود» أو «حمام حارة صهيون»، يرجع هذا الحمام إلى الفترة المملوكية، ولكن من الصعب التحديد لأي فترة مملوكية يعود، الأولى أم الثانية، فالإشارة الوحيدة التي ذكرته ترجع إلى القرن الرابع عشر، فقد أشارت إحدى وثائق المتحف الإسلامي إلى الحمام، وبناءً عليه فقد عرف هذا الحمام في العصر المملوكي بحمام حارة صهيون، وقد ورد ذكره عرضاً، حيث وجد شخص متوفى بقرب الحمام، وذلك سنة 1395م، وكتب حصر الإرث له، والنص كما يلي «وجد رجل ميت يسمى محمد... بحارة صهيون بالقرب من الحمام بدار العجلوني...»⁽²⁾.

(1) بلاد الشام في الأحكام السلطانية الواردة في دفتر المهمة، الجزء الأول، صفحة 93، 136.

(2) وثيقة رقم 440 من وثائق المتحف الإسلامي.

استمر هذا الحمام في الفترة العثمانية وفقاً على قبة الصخرة، وهذا يشير إلى أن من بناه أوقفه على الصخرة منذ البداية، وكان المسؤول عنه متولي وقف الحرمين، وأول ذكر للحمام في الفترة العثمانية، ورد في وثيقة من سجلات المحكمة الشرعية في القدس، ترجع إلى النصف الأول من القرن السادس عشر، حيث ورد ذكره عرضياً أيضاً، فقد وردت وثيقة حول استئجار دار بحارة صهيون وقف الحرم القدسي، تتكون من أربعة بيوت من قبل المعلم علي بن المرحوم المعلم حسن ابن الدهينة، وكانت الدار مجاورة لحمام حارة اليهود «استأجر... ابن الدهينة جميع الدار القائمة البناء بالقدس بحارة صهيون المشتملة على أربعة بيوت سكنية الملاصقة لحمام حارة اليهود لمدة عشر سنوات... 13 ذي الحجة 944 / 1537»⁽¹⁾، ويبدو أن ابن الدهينة كان يخطط لأخذ ماء الحمام منذ استئجار البيوت المجاورة للحمام، ففي 15 رجب 961 الموافق 25 حزيران 1554، أي بعد أقل من عقدين من استئجار البيوت، رفعت دعوى للمحكمة الشرعية من متولي وقف الحرمين على أبناء عائلة زريق⁽²⁾، المجاورين للحمام، تشتكي عليهم بأنهم يستخدمون ماء بركة الحمام الواقعة في حوشهم لمصبتهم، وتطالب بإيقافهم عن استخدام مياه بركة الحمام. (سجل رقم 28، صورة 188، ص: 385)، ولم تنته مشكلة الاعتداء على مياه الحمام، فقد استمرت عقوداً، ففي 20 شوال 1003 / 1595 رفعت شكوى للمرة الثانية على نفس العائلة، أنهم يأخذون جميع ماء الجب المعروف بالعنزنية المعد لجمع ماء الأشتية الواقع في حارة صهيون من محلة اليهود الواقع بحوش أولاد زريق (سجل 76، صورة 258، ص: 513)، وأيضاً في 1 محرم 1010 / 1601 رفعت دعوى أخرى حول نفس الموضوع (سجل 83، صورة 79، ص: 154 / 3).

(1) (سجل 8، صفحة 88 / 3، صورة 47).

(2) ورد لدى كوهن دراسة عن مصبنة ابن الدهينة وابن حسونة، وفي الوثيقة يشير إلى ابن حسونة على أنه من أولاد الدهينة، انظر:

Amnon Cohen, *Economic Life in Ottoman Jerusalem*, New York: Cambridge University Press, 1989, p. 67 and after.

ومع مرور الزمان، كان الحمام يحتاج إلى الترميم، فقد وردت وثيقة لتعمير حمام حارة اليهود، وتم أخذ 21 لوحًا من الرخام لاستخدامها في الحمام من حاصل النجارة⁽¹⁾، ولكن القاضي أمر بإرجاعها، وتاريخ الحجة 13 محرم 1553/961 (سجل 27، صورة 136، ص: 2/269)، وإكمالاً لتعميره، تم في فترة لاحقة الاتفاق مع معمارية لعمل قناة لحمام حارة اليهود بمبلغ 20 ذهب سلطاني (س 33، صورة 72، ص: 2/142) وبعد عدة شهور، وتاريخ 25 رجب 961 وردت حجة تبين أن الحمام قد تم تعميمه، ولم تحل المشكلة مع عائلة زريق حتى بعد أكثر من نصف قرن، فقد أُعيد تقديم شكوى أخرى ضد العائلة حول سرقة مياه الحمام، وبعد تعميمه تم تأجيله لأول مرة بتاريخ 26 شعبان 1554/961، ولكن بغير ماء، لأنه من الواضح أن مشكلة المياه للحمام لم تحل مع عائلة زريق، ونورد نص وثيقة تشير إلى استمرار مشكلة المياه مع عائلة زريق من السجل (رقم 83، صورة 79 صفحة 3/154)

«لدى مولانا الحاكم الشرعي، ادعى عبد الباقي بك الناظر على أوقاف الصخرة على صالح بن خليل حسونة من أولاد زريق وعمّه صالح بن محمد بن حسونة بأنه من الجاري في الوقف جميع الجب المعدّ لجمع ماء الأشتية المعروف بالعنزية بمحلة صهيون وأنه من جملة حقوق حمام الوقف الكائن بمحلة اليهود وفم البئر كان بالدار المعروفة بدار خليل والد صالح، وقد تعدّى على الجب وأدخله إلى مصبته وادعى عليه ناظر الوقف سابقاً بأنه يأخذ ماءه لطبخ الصابون بغير وجه شرعي، وحكم بذلك لجهة الوقف وأبرز وثيقة من زمن القاضي شجاع الدين بالقدس كان وحكم برفع يده عنه وطلب من مولانا أن يتوجه بنفسه لسماع الشهادة على العين، فتوجه الأفندي وصحبته المتداعين ووقف على العنزية ووجد لها فمان، القديم بداخل الدار المعروفة بدارة الشعارة والآخر بداخل مصبنة المدعى

(1) النجارة هو مكان أو مخزن كبير إلى الشرق من المسجد الأقصى وكان متصلاً بالمسجد، وقد هدم في ترميمات 1939، ويوضع به آلة المسجد، مجير الدين، الأنس الجليل، عمان: مكتبة المحتسب، ج 2، ص: 14.

عليها ووجد قناة قديمة عند الفم القديم موصلة إلى الحمام، وأحضر المدعي المعلم محمود بن حسين بن نمر معمار باشي بالقدس وغيره وشهدا بأن الجب وهو العنزية من جملة حقوق الوقف الجارية في وقف الصخرة، ولما ثبت مضمون ذلك، حكم بأن جهات الجب هي في الوقف الشريف 1 محرم 1010 الموافق 1/7/1601.

وكانت أجرته زهيدة، بلغت يومياً ست قطع فضة سليمانية، منذ بداية شهر رمضان (سجل 28، صورة 214، ص: 1/437)، وأُجر في العقود اللاحقة أكثر من مرة (سجل 31، صورة 2، ص: 2/3؛ سجل المحكمة الشرعية الإضافي رقم 10، صورة رقم 330). ونجد ذكراً لاستمرار الحمام في العمل في القرن السابع عشر، فقد وردت وثيقة بتأجيله في منتصف ذلك القرن، مما يشير إلى أنه استمر استخدامه حتى سنة 1659، حيث أُجر بقطعة مصرية واحدة في اليوم (سجل 157، صورة 275، ص: 3/556).

هذه هي الوثائق التي اطلعت عليها وتعلق بحمام حارة اليهود، وهي لا تضيف إلينا الشيء الكثير، والموضوع الرئيس أننا نعرف الآن من هذه الوثائق أنه كان في حارة اليهود حمام عام للناس، وأن تسميته جاءت من موقعه، تماماً مثل حمام البترك في حارة النصارى، وعلى الأغلب أن هذا الحمام لم يكن مخصصاً لليهود، بل هو حمام عام لجميع السكان، وأطلق عليه هذا الاسم لموقعه الجغرافي في حارة اليهود فقط لا غير، وكان اسمه كما مرّ سابقاً في وثيقة من القرن الرابع عشر «حمام حارة صهيون»، وعلى الأغلب أنه تم لاحقاً تغيير اسم الحارة إلى حارة اليهود فعرف الحمام بهذا الاسم، واستمر يعمل حتى منتصف القرن السابع عشر.

بعد الاحتلال الإسرائيلي لمدينة القدس سنة 1967، قامت سلطة الآثار الإسرائيلية بكثير من الحفريات، سواء داخل المدينة القديمة أو خارجها، وقد تم الحفر بجانب السور الجنوبي الداخلي للمدينة، وتحديدًا إلى الشمال من باب المغاربة، والمكان يقع في عصرنا بين

كراج السيارات الحديث والسور، حيث عُثر في المكان على موقع لحمام، ونفترض أنه آثار الحمام المنوّه عنه⁽¹⁾.

ومن الجدير بالذكر أن أتباع الديانات الأخرى من يهود ونصارى كان لهم الحق كالمسلمين في الاستحمام في أي حمام يختارونه، فقد وردت عدة حجج في السجلات تشير إلى أن اليهود والنصارى كان لهم حق الاستحمام في حمام العين وغيره.⁽²⁾

- حمام درج العين

وُجد مستحم عرف باسم حمام درج العين لعائلة نسبية المقدسية، ووصف بأنه من أملاك القاضي فخر الدين بن نسبية الخزرجي، ومن الواضح أنه يوجد فرق بين حمام ومستحم، وعلى الأغلب فإن الثاني أصغر من الأول، لذلك نجد الفروقات في الأجور مرتفعة، فقد وصف حمام الشفاء باسم «مستحم» أيضاً، وكان يعرف باسم حمام المتوضأ، وأجرته مقارنة لحمام درج العين (سجل 2، صورة 74، ص: 3/141) في حين أن أجره حمام العين أو حمام تنكز، بلغت في نفس الفترة 115 حلبية في اليوم (سجل 10، صورة 113، ص: 6/223).

كان موقع حمام درج العين في آخر طريق الواد من الشرق⁽³⁾، وأوقف العمل فيه في نهايات

(1) أفادني بهذه المعلومة توفيق دعادلة.

(2) وردت حجج مختلفة بالسماح لليهود بالاستحمام في حمامات المدينة، وقد أمر القاضي بإعادة فتح ما يعرف باسم «المطبل» لليهود في حمام البطرك وحمام العين، والمطبل مصطلح مرادف للمكفاة، وهو على شكل بركة فيها ماء المطر او ماء النبع، وتستخدم للتطهر لدى اليهود، حيث يقومون بالغسل فيها من اجل الطهارة، وأحياناً كانت ترد وثائق بمنع اليهود، وأظن أن ذلك كان يتم من بعض المتزمتين الموجودين في كل عصر وزمان، وبعد ذلك يعترض مستأجري الحمامات لأن في ذلك خسارة مادية لهم، فيتم إعادة الموافقة على دخولهم، انظر أمثلة على ذلك في (سجل اضافي رقم 9، ص: 48؛ سجل الأغلفة رقم 192، ص: 97).

(3) منذ أواخر القرن العشرين حتى تاريخه تجري حفريات في الموقع من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي، وقد تم الكشف عن أساسات لحمام منذ الفترة الرومانية، انظر مقال بالعبرية كتبه توفيق دعادلة:

الفترة المملوكية⁽¹⁾، ففي 21 جمادى الأول 945 / 1538، تم تأجيرها بأجرة يومية عن كل نهار ثلاث فضيات حلبية حساباً عن كل شهر 90 فضية (سجل 10، صورة 47، ص: 3/91)، وبعد عشرة أيام من تاريخ هذه الحجة، بدأ صراع على استئجار المستحم، وتمت المزاودة على أجرته اليومية، حيث ارتفعت من 5، 7 حلبية إلى 15 حلبية⁽²⁾ (سجل 10، صورة 65، ص: 127، 130؛ صورة 67، ص: 3/131)، وقد أُجر الحمام بتاريخ 28 محرم 947 / 1540 بأجرة يومية 10 فضيات حلبية، والغريب أنه لأول مرة يوصف في الحجة بأنه وقف المدرسة التنكزية (سجل 12، صورة 112، ص: 2/217)

حمامي خاصكي سلطان

من الحمامات المندثرة والتي أُسست في الفترة العثمانية، حمام للرجال وحمام للنساء ويعرفان بحمامي السلطان، وقد أنشأتهما خاصكي سلطان في طريق الواد، سوف أتناول تكلفة بناء حمامي خاصكي سلطان ووصفها وتكلفة البناء ومراحله تبعاً للمعلومات التي توفرت بيدي، وأرفق قسمًا من الوثائق التي تتعلق بهما، سواء من ناحية البناء أو التكلفة أو الوصف والتي أجد أنها تخدم البحث.

– «A Mamluk bathhouse and Early Remains in Ohel Yizhaq,» joint article with H. Barbe, in Qadmoniot 43, no. 140, 2010, pp. 133137– (in Hebrew).

وتم تأسيس كنيس يهودي يعرف باسم «خيمة اسحق» فوق الحمام، كما كان بين هذا المستحم وحمام تنكز خان ملك عائلة نسبية أيضًا، وقد تم بيع حصصهم فيه سنة 941 / 1534، «الخان بالقرب من درج العين، المشتمل على بوائك ومخازن سفلية وعلوية ويحده قبلة حاصل حمام العين وشرقاً دار ابن أبي شريف وتمامه حائط خان باب القطائين ومن الشمال حمام تنكز ومن الغرب الدرب وفيه الباب» (سجل 4، صورة 221، ص: 1/440).

(1) القاضي فخر الدين بن نسبية الخزرجي، وفي سنة 1489 نفاه السلطان المملوكي لمدة سنتين، وبعدها عاد إلى القاهرة وعلى الأغلب أنه توفي هناك، مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج2، ص: 354-353.

(2) كان السلطاني ذهب يساوي 80 عثمانية، ويساوي 200 فضة حلبية (سجل 10، صورة 176، ص: 2/336).

يطلق اسم «حمّام السلطان» على حمّامين أمرت بينائهما خاصكي سلطان زوجة السلطان العثماني سليمان القانوني في مدينة القدس، وأظن أن الاسم مختصر من مصطلح «حمّامي خاصكي سلطان» فتم إسقاط ياء المثني من الكلمة الأولى، وإسقاط اسم الزوجة خاصكي ربما لأنها امرأة، وبالتالي نسب الحمّام إلى السلطان، ومن هنا جاء الخلل عند الباحثين من أنه حمّام واحد، وأن الحمّام الآخر قد يكون سابقاً زمنياً على حمّام السلطان، أو أنه يوجد حمّام آخر غير معروف عنه أي معلومات.⁽¹⁾

خاصكي سلطان

وخاصكي سلطان هي محبوبه السلطان سليمان القانوني، واسمها الأصلي ركسلانة بمعنى صاحبة الشعر الأحمر، ويختلف الباحثون حول هويتها، وتشير أكثر الدراسات إلى أنها ابنة كاهن فقير، كان يقيم في قرية على نهر دنستر، في منطقة من جهة حدود المجر حسب الرواية البولندية، وهي إحدى سببايا الجيش العثماني التي اختطفها التتار الذين كانوا يقومون بغارات سطو ونهب من حين إلى آخر في بولندا، ويقال إن الصدر الأعظم إبراهيم⁽²⁾ اشتراها وأهداها إلى السلطان سليمان، وبالتالي تم ضمّها إلى حريم القصر كجارية، وأطلق عليها بالعثمانية «حُرْم» وللكلمة عدة معانٍ منها، الفرح، البهجة، الزهرة، السعيدة، الثروة، وفي فترة لاحقة حرّرت من العبودية، ويبدو أن مكانتها لدى سليمان كانت نابعة ليس فقط من مرحها ومواهبها الموسيقية، ولكن لأنها أنجبت له أربعة أولاد، وبقيت طيلة حياتها بمثابة الموثوقة بالنسبة للسلطان حتى وفاتها في شهر نيسان سنة 1558، وفي الفترة التي دخلت ركسلانة القصر كان المكان الأول فيه للسلطانة كولبهار، وهي على الأغلب تربية

(1) العسلي، من آثارنا، ص: 208.

(2) وصل إلى منصب الصدر الأعظم أي الوزير الأكبر في الإمبراطورية العثمانية، وقد تزوج أخت السلطان خديجة، وقتله السلطان سليمان سنة 1556، انظر: أندري كلو، سليمان القانوني، ترجمة البشير بن سلامة، بيروت: دار الجيل، 1991، ص: 158.

الأصل، وأنجبت للسلطان سليمان ابنه مصطفى، وقد تم إخراجها من الحرم، مع ابنها الذي عُيِّن واليًا على مقاطعة منسة، إثر مشاحنة بينها وبين ركسلانة، وبعد فترة تزوج السلطان سليمان من ركسلانة رغم وجود معارضة لهذا الزواج.⁽¹⁾

قامت ركسلانة بتنفيذ كثير من الأعمال الخيرية، سواء في عاصمة الإمبراطورية أو في المدن الإسلامية المقدسة، فقد أوقفت في القدس مطبخ سلطاني «تكية»⁽²⁾ ولم يكن هذا هو العمل الخيري الوحيد لها في المدينة، فقد أوقفت ربعة⁽³⁾ قرآنية على زاوية النبي داود بحارة صهيون خارج سور القدس، وكان يقرأ فيها 15 نفرًا «قارئ» بعد صلاة العصر في كل يوم⁽⁴⁾، كما أنشأت في استانبول مسجدًا ومدرستين ومشفى وتكية، وعددًا من الأسبلة وبنى لها المعماري سنان كلية اشتهرت باسم «خاصكي» وضمت مشفى وعمارة ومدرسة للصبيان وسبيلاً، وبنى لها كذلك حمامين يحملان اسمها في العاصمة، وجميعها تحمل اسمها بصورة أو بأخرى، كما أقامت تكية أو مطبخًا في مكة، وتوفيت ركسلانة سنة 1558 / 965 ودفنت في فناء جامع السليمانية في استانبول، والذي ضم ضريح السلطان سليمان لاحقًا.⁽⁵⁾

(1) انظر المرجع السابق، ص: 123-125؛ حسين مؤنس، الجارية خاصكي سلطان تتزوج السلطان سليمان الفاتح، بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر؛ الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج 1، ص: 614؛ كامل العسلي، وثائق مقدسية، ج 1، ص: 125.

(2) كلمة «تكية» معربة من اللغة العثمانية «tekke»، والغاية منها إيواء الدراويش وأبناء السبيل والفقراء والمساكين وإطعامهم من الأوقاف التي حبست عليها، انظر: عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص: 107.

(3) الربعة مصطلح دخيل على العربية، ويعني الأجزاء التي يقسم إليها القرآن الكريم من أجل تسهيل القراءة فيه، انظر: خضر سلامة، المخطوطات القرآنية في المتحف الإسلامي في الحرم الشريف القدس، باريس. اليونسكو، 2003، صفحات متفرقة.

(4) (سجل 57، صورة 98، ص: 205).

(5) ماجدة صلاح مخلوف، الحرم في العصر العثماني، القاهرة: دار الآفاق العربية، 1998. ص: 47، وعن أوقاف الحرم انظر الصفحات 42-52

لا زالت تكية خاصكي سلطان «العمارة العامرة» عاملة حتى عصرنا الحالي في مدينة القدس، وهي عبارة عن مجمع ضخم، ويعرف في المدينة باسم المطبخ السلطاني، ولا يوجد ساكن في المدينة في القرون الأربعة التي حكمت بها الدولة العثمانية لم يأخذ شورية وخبزاً من التكية⁽¹⁾، وبعد وفاتها، أصدر لها السلطان سليمان وقفية⁽²⁾ تشتمل على المناطق التي أوقفها من أجل الصرف على مشاريعها في القدس، وقد نشرت وقفية خاصكي سلطان منذ عدة عقود.

بناء الحمامين

لقد تم شراء قسم من مكان الحمامين أواخر شهر رجب سنة 961 الموافق 1554 / 7 / 1 من قبل فرهاد جلبي بن الحاج بداق، وهو المشرف على بناء الحمامين والمتولي على تكية خاصكي سلطان (العمارة العامرة)، وذلك بسبب أن الحمامين سيكونان وفقاً على التكية، وصاحب العقار هو القاضي شمس الدين محمد بن كريم الدين الشهير بابن قاضي الخليل⁽³⁾، وقد أصبحت ملكاً للقاضي بتاريخ 22 ذي القعدة 957 الموافق 1550 / 12 / 2

(1) نشرت كثيراً من الدراسات عن تكية خاصكي سلطان، تقتصر على ذكر البعض منها: غسان محبيش، وقفية خاصكي سلطان في بيت المقدس، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة عين شمس سنة 2004، وقد أورد نص الوقفية في الرسالة ص: 135-160، كما أورد ترجمة لركسلانة من ص: 117-125. وأشار إلى النسخ من الوقفية المنتشرة في أكثر من مكان ص: 129-134.

Amy Singer, Constructing Ottoman Beneficence, 2002, P. 117; David Myres, «al-Amara al-Amira of K. S. in Ottoman Jerusalem», 2000, vol. 1, 539581-; Heyd, Ottoman Documents in Palestine, p. 134 -135.

(2) انظر الوقفية المخطوطة رقم 1969 في المكتبة الخالدية، وورد نصها في سجل المحكمة الشرعية، وألحق بها في نفس السجل وقفية العمارة العامرة التي أوقفها السلطان سليمان القانوني وتقع في 6 صفحات، وتاريخها آخر شهر شوال 967 (سجل 270، صورة 10-15، ص: 18-27) ومنشورة في كتاب:

Stephan, St. H. «An Endowment Deed of Khasseki Sultan, Dated the 24th May 1552», The Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine, Vol. X, No. 4, 1944, Pp. 170- 194.

(3) ذكر القاضي شمس الدين محمد بن القاضي خير الدين الشهير بابن قاضي الخليل في أول سجل من

عن طريق الشراء «فباع ما هو منتقل إليه بالابتياح الشرعي من قبل علاء الدين بن الحاج محمد الشهير بابن الحصري الحريري» وبلغ ثمن قسم الأرض التي باعها 300 ذهب سلطاني جديد سليماني⁽¹⁾.

والدار التي تم شراؤها، حدودها من القبلة الدرب السالك وفيه باب الدار، ومن الشرق دار وقف الخانقاه، ومن الشمال الدرب السالك (طريق الآلام) ومن الغرب دار الشيخ تقي الدين بن شيخ الحرم، وهي القسم الثاني من أرض بناية الحمامين، ولم أجد ما يشير إلى كيفية انتقال القسم الثاني إلى الحمامين.

في تاريخ 16 شهر رجب سنة 961 الموافق 1554/6/17، وردت أول وثيقة تتعلق بالشروع في التحضير لبناء حمامي خاصكي سلطان، وذلك من خلال الاتفاق مع أربعة من الصناع المعلمين في عمل الطوب (فاخورية) وهم محمد بن بركة، الحاج علي الشريف المغربي، الحاج فتوح والحاج علي العجمي، فقد تم الاتفاق معهم على عمل 50000 طوبة من الطين المشوي لبناء جسم الحمام، بمبلغ إجمالي 225 ليرة ذهب⁽²⁾، بواقع 5، 4 ذهب لكل ألف طوبة، وقد تم عرض عينة في المجلس الشرعي، ولم ترد أية إشارة في الوثائق تشير إلى مكان إحضار التراب الذي سيتم عمل الطوب منه.

ومن أجل تأمين وصول المياه إلى الحمامين، تقدم المتولي على العمارة فرهاد إلى المحكمة الشرعية بتاريخ 23 شعبان 961 الموافق 1554/7/24 طالباً حفر بئرين بأعلى واد الأبيار (منطقة بيت لحم) لتقوية قناة السبيل التي توصل الماء للقدس وتزويد الحمامين الجديدين

سجلات المحكمة الشرعية الإضافية مع أشقاء له من القضاة، وكان لهم دور في شراء وبيع العقارات في القدس والخليل، انظر (سجل 1أ، صورة 31، ص: 58؛ صورة 41، ص: 77).

(1). (سجل 28، صورة 192، ص: 1/394).

(2). (سجل 28، صورة 189، ص 387؛ صورة 203، ص: 415).

بالماء، وقد كلف حفر البئر 70 سلطاني ذهب.⁽¹⁾

وفي الفترة نفسها، نجد أن اسم الزعيم بلواء القدس بيرام جاويش⁽²⁾ قد بدأ يظهر في وثائق المحكمة بأن له علاقة بإعمار الحمامين، فقد قبض هو وعلي جلبي الذي وصف بأنه أمين على كنيسة القيامة مبلغ 1695 ذهبًا ومبلغ آخر 900 سلطاني من مال العمارة⁽³⁾، وقسم من المال رصد من استانبول والقسم الثاني من مال العمارة العامرة، وثالث من دخل كنيسة القيامة بمعرفة الكاتب على القيامة عبد الكريم خليفة بن حسين، وبعد ما يقارب الستين من بداية العمل على الحمام أصبح بيرام جاويش هو المتولي أو المسؤول عن تكملة بناء الحمامين وجمع التمويل بتاريخ 10 ربيع الأول 963 الموافق 1556 / 1 / 23، وقد نفذ ثلثي بناء الحمام فرهاد المتولي السابق وأكمل الثلث الباقي بيرام جاويش⁽⁴⁾، فقد دُفع 225 ذهب سلطاني من مدخولات القيامة للحمامين⁽⁵⁾، كما أحضر من متولي العمارة فرهاد مبلغ 883 ذهب سلطاني⁽⁶⁾، وعمل اتفاقًا مع المعماري علي بن سيد على بناء بيت النار بحجارة نارية جديدة، وبناء خزائين للماء بالحجارة أيضًا وبناء عقد الأقميمين مقابل أجرة 140 ذهب سليمان، وليس عليه مواد من شيد أو طوب وتراب أحمر.⁽⁷⁾

نشير إلى ظاهرة إعادة استخدام حجارة أبنية مهدمة في أبنية جديدة، ونجد في كثير من

(1) (سجل 28، صورة 211، ص: 2/431).

(2) عن بيرام جاويش وأوقافه وحياته ومماته في مدينة انظر بالتفصيل:

Yusuf Natsheh, Ottoman Jerusalem, part 2, p. 709– 741.

(3) (سجل 28، صورة 214، ص: 2/437).

(4) (سجل 31، صورة 146، ص: 5/290).

(5) (سجل 30، صورة 153، ص: 4/315).

(6) (سجل 30، صورة 160، ص: 1/329).

(7) (سجل 31، صورة 44، ص: 1/86).

الأبنية حجارة تعود إلى فترات سابقة مختلفة، وهذا ما تم في بناء حمامي خاصكي سلطان، ويبدو أن بيع حجارة الأبنية المتهدمة كان شائعاً في جميع الفترات⁽¹⁾، فقد تم إحضار قسم من تلك الحجارة من أبنية قديمة في مدينة القدس، ومن أجل بيع تلك الحجارة فإنها توصف من قبل المتولين على تلك الأبنية أنها آيلة للسقوط، والأفضل للوقف بيعها خوفاً عليها من السرقة، فقد تم الكشف على بناء موقوف على البيمارستان الصلاحي، واحتوى على قبة وقبو ومحراب، وكل ذلك كان داخل كنيسة من زمن الرومان، وقد بيعت حجارة الأماكن المذكورة بمبلغ 20 ذهب سلطاني لاستخدامها في بناء الحمامين⁽²⁾، كما تم شراء مجموعة من الحجارة بمبلغ 60 ذهب سلطاني لم يذكر عددها من دركاة⁽³⁾ مقابلة لكنيسة القيامة من الجنوب، وملاصقة للمورستان من الغرب، مما يشير إلى أن أبنية المورستان كانت تمتد من سوق اللحامين إلى مقابل كنيسة القيامة.⁽⁴⁾

يبدو أنه قد تم الانتهاء من بناء جسم الحمامين في نهايات شهر ربيع الأول سنة 963 الموافق 12/2/1556، وجاءت مرحلة التبليط، فقد تم الاتفاق مع المعلمين المعمارية من القدس وهم المعلم حسين بن نمر، يوسف عبد القادر الحلبي، ذياب بن رمضان، حنا بن داود النصراني وعون بن موسى النصراني على تبليط الحمامين الجديدين ببلاط رخام أبيض وأسود وبلاط مزي مجلي وتبليط الرواق الذي طوله من الجنوب إلى الشمال 30 في 30 ذراعاً

(1) ورد في (سجل 1، صورة 28، ص: 1/53) تسعير بيع الأحجار المستعملة، فقد بيعت الأحجار المستوية المنحوتة النارية كل 100 حجر بسعر 60 فضة، الأحجار الصلاب القشيم كل 100 بمبلغ 40 فضة، البلاط العقاد الناري كل 100 بمبلغ 15 فضة حلبيية.

(2) (سجل 30، صورة 81، ص: 3/170).

(3) تجمع على دركاوات، وهي كلمة فارسية مركبة من مقطعين، «در» بمعنى باب و «كاه» بمعنى محل ويقصد بها الممر أو الساحة التي تقود إلى المبنى أو المدرسة أو المسجد، وبالتالي فالدر كاه منطقة وسطى تلي باب الدخول انظر: محمد أمين، المصطلحات، ص: 47؛ رياض غنايم، معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية الدخيلة، بيروت: بيسان، 2011، ص: 150.

(4) (سجل 30، صورة 98، ص: 1/204).

والواقع عند باب حَمَّام الرجال ببلاط مزري غير مجلي (مما قد يشير إلى أن حَمَّام الرجال كان إلى الغرب وحَمَّام النساء إلى الشرق منه)، كما تم الاتفاق على تبييط مصطبة شمال الرواق وإصلاح الأعمدة الدائرية الثمانية، في كل جانب أربعة أعمدة، وبيني ما بين الأعمدة مصاطب بارتفاع 40 سم، وكذلك تبييط أرضية المشلحين برخام أسود وأبيض مقابل 75 ذهب سلطاني⁽¹⁾. ونص الوثيقة كما يلي من (سجل 31، صورة 56، ص: 1/110)

«بين يدي مولانا عبد الرحمن مولى محروسة القدس وما معها قاطع بيرام بك المتولي على العمارة بالقدس وقف فخر المخدرات صاحبة الخيرات.... حضرت السلطانة دامه عصمتها بمعرفة فخر الكتاب خسرو بك كاتب أوقاف العمارة كل من المعلم خليل وأخيه محمود ولدي المعلم حسين بن نمر والمعلم يوسف بن عبد القادر الحلبي وذياب بن رمضان وحنا بن داود النصراني وعون بن موسى النصراني، الجميع من المعمارية بالقدس على تبييط الحَمَّامين الجديدين وإقامة بلاط الشادروانين ببلاط رخام ملون أبيض وأسود وبلاط مزري مجلي وتبييط الرواق الكاين على باب حَمَّام الرجال من ظاهره ببلاط مزري من غير جلا، وذرعه طولاً وعرضاً قبلة بثام ثلاثة وثلاثين ذراعاً بذراع العمل ومصطبة بشمالي الرواق المذكور وتبييطها ببلاط مزري مجلي وعلى إصلاح الأسطوانات الكاينة بالرواق المزبور وعدتها ثمانية كلوه وشاطي وعلى بناء مساطب صغار بين الأسطوانات ذرع كل علوا ثلثي ذراع بالذراع المزبور وأن يبلطوا أرضية المشلحين برخام أسود وأبيض إلى تمام البلاط الأسود ويكملوا ببلاط مزري مجلي وعليهم الشروع في تبييط ذلك وإحكامه وإتمامه ولهم في نظير أجرتهم وأجرة من يستعينون بهم من المعلمين والفعول من الذهب السلطاني خمسة وسبعون سلطانياً ذهباً مقاطعة صحيحة شرعية صدرت بينهم على الوجه الشرعي بإيجاب وقبول شرعيين، والمقاطعون متضامنون متكافلون في ذلك في المال والذمة تحريراً في عشرين شهر ربيع الأول سنة 963 الموافق 11/2/1556».

(1) (سجل 31، صورة 56، ص: 1/110).

انتقل العمل إلى المراحل التالية والمتمثلة في ربط الحمامين بقناة لتزويدهما بالمياه ولتصريف المياه المستخدمة، فقد تم الاتفاق مع «الأستاذ حسين بن نمر المعمار والأستاذ محمد بن مصطفى الاستنبولي المعمار القنواتي ومراد النصراني الأرمني من المعمارية بالقدس على عمل قناة برسم الحمامين ابتداءً من الششمة⁽¹⁾، [بل] المقسم تجاه الحمامين إلى أن تنتهي إلى حاصل الحمامين وتفريق الماء من الحاصل إلى الحمامين إلى محل البارد والسخن وذرع القناة المزبورة مائة ذراع وخمسون ذراعاً بذراع العمل ولهم أجرة نظير ذلك 37 سلطاني ذهب وعليهم الشروع بذلك في يوم تاريخه...» (سجل 31، صورة 56، ص: 2/110)، ولاحقاً تم الاتفاق مع الأستاذ محمد بن مصطفى المعمار القنواتي على القيام بكشف قناة المياه في القدس من مصرف ماء الحمامين وتعزيلها من القمامة إلى عمق ذراع ونصف حتى يصل إلى باب ششمة باب القطنين قرب حمام العين، وعلى الأغلب أنها قناة قديمة وغير مستحدثة، ثم يقوم المعلم حسين النمري بالنزول إلى القناة وإصلاح ما تحتاجه من قسارة وترميم وتكحيل، وأجرته على محمد المذكور، وبلغت أجرة المعلم القنواتي ومن يعمل معه 50 ذهب سلطاني خارجاً عما يحتاجه من آلات ومؤونة للعاملين، وقد كفل المعمار محمد عمله لمدة ثلاث سنوات (سجل 31، صورة 91، ص: 179).

ولاحقاً في السجل نفسه، وردت حجتان حول نفس الموضوع، ويبدو أن معمارية القدس لم يكن لديهم الخبرة في بناء الحمامات، ولذلك نجد اتفاقاً مع معمارية نصارى من حارة البطرك في استانبول، وهم مانويل النصراني الاستنبولي، دميري بن قسطنطين، نقولا بن دميري ودميري بن نقولا، وذلك على عمارة أقميمي الحمامين الجديدين وبناء قيس بيت النار (سجل 31، صورة 146، ص: 290)،

تم الانتهاء من بناء الحمامين قبل سنتين من وفاة خاصكي سلطان (ت 1558/965)،

(1) الششمة هي بيت الراحة أو الحمامات في عصرنا الحاضر، والمقصود الحمامات التي بجوار الحرم الشريف من الغرب.

ويبدو أن إنشاء أوقاف لها في المدن المقدسة قد بُدئ به بعد أن انتهت من بناء المؤسسات الوقفية لها في استانبول، وقد تم الانتهاء من تأسيس العمارة العامرة سنة 1552/959، وتم تسجيل حجة وقف العمارة العامرة سنة 1560/967 أي بعد سنتين من وفاة خاصكي سلطان، كما أقام السلطان سليمان القانوني مطبخاً للحساء في مكة المكرمة لذكرى زوجته ركسلانة.⁽¹⁾

استغرق العمل في الحمامين حتى يوم تأجيرهما ما يقارب السنتين، وبلغت التكلفة الإجمالية لبناء الحمامين 3658 ذهب سلطاني، 1920 ذهب من الرسوم التي يدفعها الزوار المسيحيون لكنيسة القيامة، ومبلغ 1738 ذهب من وقف العمارة العامرة، ودفع منها مبلغ 940 ذهب ثمناً للأرض وأجرة للعاملين من بداية المشروع حتى نهايته.

بعد عمل استمر ما يقارب السنتين في البناء، افتتح الحمامان، على الأغلب الغربي للرجال والشرقي للنساء، ففي تاريخ 13 جمادى الثاني سنة 963 الموافق 1556/4/24 تم تأجير الحمامين لأول مرة بمبلغ كبير، فقد بلغت أجرته 120 عثمانية يومياً، بمبلغ سنوي بلغ 42480 عثمانية، على أن تدفع الأجرة في آخر عمل كل يوم.⁽²⁾

كان حمام السلطان هو الحمام الوحيد في المدينة الذي يستخدم فيه الحطب لتسخين الماء، فقد كانت باقي الحمامات تستخدم الزبل (مخلفات الحيوانات)، وقد اشتكى المستأجران من أنهم يشترون يومياً عشرة أحمال حطب للحمام، وطالبوا بأن يقوم المتولي على الوقف بدفع ثمن الحطب، وصدرت حجة بالموافقة على ذلك⁽³⁾، وبعد سنتين من افتتاحه انخفضت أجرته إلى ربع المبلغ الذي أُجر فيه لأول مرة، ففي 23 رجب 965 الموافق 1558/5/11

(1) ثريا فاروقي، حجاج وسلاطين: الحج أيام العثمانيين، ترجمة أبو بكر أحمد باقادر، بيروت: منشورات الجمل، 2010، ص: 176.

(2) (سجل 31، صورة 150، ص: 4/297).

(3) (سجل 33، صورة 96، ص: 4/187).

أُجر يوماً بمبلغ 30 قطعة⁽¹⁾، وبعد سنة انخفضت الأجرة اليومية إلى 24 قطعة يوماً مع وجود الماء⁽²⁾. ويبدو أن الحمامين كانا يواجهان مشكلة في تزويدهما بالمياه، ربما بسبب الجفاف المتمثل في قلة الأمطار وبالتالي انقطاع قناة السبيل أو خرابها، ويبدو أنه كان لُبُعد الحمامين عن الحرم صعوبة في تزويدهما بالماء أو أن القناة التي توصل المياه إلى الحمامين غير فعالة، وقد استدعى ذلك طلب إذن من ناظر الحرمين بتاريخ 3 ربيع الثاني 968 الموافق 1560/12/22 لحفر قناة للماء من الصهريج الذي يقع بالقرب من باب الناظر (باب المجلس أو دائرة الأوقاف في عصرنا الحالي) إلى الحمامين⁽³⁾، وبعد حوالي العقدین، طالب مستأجر الحمامين بإيقاف العمل في حمام النساء لقلة الماء، وبعد الاستعلام من المختصين ذكروا أن الماء قليل من قلة الشتاء وقلة ما في البرك (برك سليمان في قرية الخضر)، وعليه أُبطل العمل في حمام النساء.

شراء مكان الحمامين من قبل الأرمن

نعرض لوثيقتين من الأرشيف العثماني⁽⁴⁾ وتتعلقان ببيع مكان حمامي خاصكي سلطان، وهي الإجراءات التي كان لا بد أن تتم حتى تحصل طائفة الأرمن الكاثوليك على ترخيص من الدولة العثمانية لبناء كنيسة لها، ولأن قسماً من الأرض وقّف، كان لا بد من وجود لجنة وقاضٍ ومحكمة وإجراءات تتم على الورق لكي تشرعن البيع، فقد كان يتم ترتيب الأمور سلفاً قبل الشروع في إجراءات نقل الوقف إلى أي شخص كان، وقد أتاح صدور التنظيمات في منتصف القرن التاسع عشر للأجانب بالتملك في الإمبراطورية،

(1) (سجل 36، صورة 61، ص: 2/119).

(2) (سجل 37، صورة 90، ص: 4/178).

(3) (سجل 40، صورة 41، ص: 3/80).

(4) الشكر للسيد رمضان نائب مدير المؤسسة التركية في رام الله اتكا على تزويدي بصور للوثيقتين، ولمحمد الصفدي في ترجمتها إلى العربية، ورقمها في الأرشيف التركي:

ونشير إلى النقاط المهمة في الوثيقتين، وهما تتعلقان بنفس الموضوع وإن اختلفتا بالصياغة والموقعين عليهما، وتاريخ الوثيقة الأولى 25 جمادى الأولى سنة 1272 الموافق 1/2/1856 وعليها فقط توقيع قاضي القدس أحمد بك محمد سعيد، وفيها أسماء من ذهبوا للكشف على الحمامين، ومنهم نائب القاضي محمد علي، وكاتب المحكمة بدر أفندي، ومفتي القدس مصطفى أفندي، ومدير أوقاف القدس حسن رشدي، والسيد سليم الخالدي، والمعمار باشي يوسف أفندي صادق، كما تحتوي الوثيقة على وصف لوضع الحمامين والخراب فيهما، في حين أن الوثيقة الثانية كتبت بعد يومين وعليها توقيع 20 شخصاً من القدس الذين كشفوا على الحمامين (انظر ملحق رقم 3 أختام الشهود على البيع)، ومن ضمن الموقعين على البيع وكلاء الطوائف المسيحية في المدينة، الأرمن، اللاتين، الروم والبروتستانت، إضافة إلى وكيل ملّة اليهود، وعلى ما يبدو أن دور الوثيقة الثانية يتعلق بتثبيت ما كتبه القاضي، وأنه تم الأمر بشكل رسمي وبمعرفة الخبراء في المدينة.

تتعلق الوثيقتان بنفس موضوع بيع مكان الحمامين لطائفة الأرمن الكاثوليك، ونعرف منهما أن الحمامين المتلاصقين، كانا يقعان في محلة واد الطواحين (شارع الواد في عصرنا الحالي)، رغم أنها وُصفا في الوثائق بأنهما يقعان في حارة باب العمود، وأنها من أوقاف زوجة السلطان سليمان القانوني السيدة خاصكي سلطان، وأن الشراء تم من قبل السيدة ديربوهين خاتون ابنة الخواجاجا بولص بطرس، بواسطة الوكيل الخواجاجا حنا أبو كارنو من سكان القدس، وحسب شهادة الأهالي، فإن حمام النساء خرب منذ أكثر من مائة عام، وحمام الرجال منذ أكثر من ثلاثين سنة، وبلغ ثمن البيع 40000 قرش، ودفع المبلغ نقدًا لوكيل الأوقاف وأودع في خزانة القدس، وعيّن على قسم الأرض الموقوفة حكراً سنوياً 150 قرشاً، وتذكر الوثيقة الأولى أن حمام النساء كان شبه مهدم وممتلئاً بالأتربة، وأن حمام الرجال خرابه أقل، كما تحدد الوثيقة الأولى مساحة الحمامين من الشرق إلى الغرب 38

ذراعاً ومن الشمال إلى الجنوب 35 ذراعاً⁽¹⁾، وهذا يشير إلى أن مساحة الحمامين بالأمتار حوالي 5, 25 × 23, 5 مترًا، أي إن مساحة الحمامين حوالي 600 متر مربع، وأنه كان لكل حمام قبة كبيرة مزججة، وأن حمام الرجال به بعض القباب الأصغر أيضًا.

بعد إجراء المسوغات التي أدت إلى بيع مكان الحمامين رغم أنه وقف، انتقل العمل إلى استانبول من أجل إجراء الصبغة القانونية على البيع، وبالتالي صدر فرمان من السلطان عبد الحميد الثاني موجه إلى متصرف سنجق القدس رؤوف باشا بتاريخ 1304/1887، وفيه يشير إلى الرخصة التي منحت للأرمن الكاثوليك ببناء كنيسة و22 غرفة وإسبلاً لإقامة الفقراء الزوار إلى القدس، وحدد المرسوم مساحة البناء بأن يكون طوله 3, 25م وعرضه 30, 10م وارتفاعه 13 مترًا.

نص الوثيقة العثمانية التي رفعها قاضي القدس لاستانبول

«المعروض من الداعي لأعتاب الدولة أنه يوجد في المنطقة المعروفة بواد الطواحين بالقدس الشريف عقارات وقفية منسوبة لوقف صاحبة الخيرات والمسبرات المرحومة المغفور لها خاصكي سلطان طاب ثراها، المضبوطة من قبل خزينة المالية الجليلة، وقد ورد في نص الوقفية أن حدودها من القبلة الطريق الخاص المؤدي لباب الغوانمة أحد أبواب الحرم الشريف، ومن الشرق قصر القاضي خليل، ومن الغرب طرق عام ومن الشمال كذلك. وهما عبارة عن حمامين، أحدهما للرجال والآخر للنساء ملاصقين لبعضهما البعض، وقد جرى شراؤهما بصورة الإجارة من قبل الخواجة بولص بطرس من رعايا الدولة العلية ومن طائفة الكاثوليك وكيلاً عن ابنته ديربوهين خاتون بعد التعريف عليها من قبل الخواجة يوسف بن الياس القبرصلي وداود بن بولص الكارمي وشهادتهما على توكيل خاتون

(1) يوجد أنواع مختلفة من الأذرع في التاريخ، وعلى الأغلب أن طول الذراع كان في حدود 67 سم يقل أو يزيد، انظر فالتر هنس، المكايل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، عمان: الجامعة الأردنية، 1970، ص: 83 وما بعدها.

المذكورة وكالة شرعية ثابتة للخواجة المدعو حنا أبو كارنو من سكان القدس الشريف، الراغب باستئجار الحمامين بوكالته عن موكلته المذكورة في يوم تاريخه، فقد تم الكشف على الحمامين بمعرفة نائب موالي القدس الكرام فضيلة محمد علي أفندي، وكاتب المحكمة بدر أفندي، وابنه أحمد خداواد أفندي من أمناء الشرع، بمعية مفتي القدس الشريف ومن مدرّسيها الكرام صاحب المكرمة مصطفى أفندي، ومدير الزراعة من المدرسين الكرام صاحب المكرمة طاهر أفندي، ومدير أوقاف القدس الشريف أحد رؤساء بوابي الركاب السلطانية صاحب الرفعة حسن رشدي أفندي، والسيد سليم أفندي الخالدي، والمحضر باشي إبراهيم آغا والسيد موسى بدر الجاعوني، والمعمار باشي يوسف أفندي صادق وغيرهم من أصحاب الخبرة الذين دخلوا إلى الحمامين المذكورين للكشف عليهما وتبين أن حدودهما تتطابق مع ما ورد بالوقفية، لكن يختلف الحدّ الشرقي، حيث قصر القاضي خليل أصبح إلى خراب وتحول إلى ساحة أرض وأن كل حمام يشتمل على قبة كبيرة نسبياً مزججة وحمام الرجال به بعض القباب... إلا أنه نظرًا لعدم وجود الماء بالحمامين وعدم الاهتمام بتعميرهما والزلازل فقد آلا إلى الخراب، وخاصة حمام النساء الذي امتلأ معظم داخله بالتراب، فهو خرب كلياً ولا يمكن الدخول إليه وذلك فيما شاهدناه من الخارج، أما حمام الرجال فنصفه ممتلئ بالتراب، وقد تبين أن بقاءه بهذا الشكل خرب فلن ينتفع به، ولدى سؤال البعض من أهالي القدس الرفيع والوضيع عن سبب خراب هذين الحمامين أفادوا أن السبب بذلك هو قلة الماء الوارد للحمامين وأن حمام النساء خرب من مدة تزيد على مائة سنة وأنه مع مرور الزمن زاد خرابه، وأن حمام الرجال منعدم النفع خرب من مدة تزيد على ثلاثين سنة وأنه لا يرجى منها نفعٌ لا كلياً ولا جزئياً حسبما أفادوا.

وأن مساحة الحمامين المذكورين الجانب القبلي والشامي طولاً 35 ذراعاً، وعرضاً الطرفين الغربي والشرقي 38 ذراعاً والمساحة تريبعا (1330) ذراعاً وأنه لا توجد أبنية للحمامين وقد قدر أهل الكشف والوقوف الحمامين المؤجلة والمعجلة بمبلغ 150, 30 (ثلاثون ألفاً

ومائة وخمسون قرشاً) أما المعجلة منها فقد قدرت بمبلغ 30,000 قرش تدفع لجانب الوقف، والمؤجل منها فقد قدر بمبلغ 150 قرشاً تدفع سنوياً، وقد تم بيان وتنسيب هذا التخمين بحضور وكيل الطائفة المذكورة، وبهذا القرار فإن النفع والحظ أوفر للوقف والنفع أكثر من بقاء الحمامين خراباً على حالتها متروكات بلا نفع، الأمر الذي سيضر بالوقف وعاد الأمان ونائب الشرع المذكور ولجنة الكشف التي برقتها لمجلس الشرع الشريف المنعقد بحضور سعادة المتصرف، وصرح الوكيل المذكور أنه بموجب وكالته فإنه يتبرع لجانب الوقف بمبلغ 10,000 (عشرة آلاف قرش) فوق المبلغ المذكور لجانب الوقف ليصل مجموع المبلغ المقدم إلى مبلغ أربعين ألف قرش (40000) وبهذا الشكل تتحقق مصلحة الوقف التي تتيح ترميم عقارات الوقف.

وبعد إخبار لجنة الكشف عن طريق الشهادة وطلب الوكيل المذكور إجراء الإيجاب اللازم بموجب وكالته، إلا أن إجراءه متوقف على الحصول على الإرادة السنية، لذا أرفعه لسريكم العالي وباقي الأمر لمن له الأمر. تحريراً في اليوم الخامس والعشرين من سنة اثنين وسبعين ومائتين وألف (1855). أحمد بك محمد سعد القاضي بالقدس»⁽¹⁾.



توابع وأختام الموقعين على بيع حمامي خاصكي سلطان

وقطعة الأرض التي أقيم عليها البناء كانت في الأصل مكان ما يعرف بحمام السلطان،

(1) الأرشيف العثماني، وثيقة من ملف رقم I, DH 414/ 27417.

وقرر المرسوم أن يدفع سنويًا كحكر عن أرض الحّمّام التي كانت وقفًا 50 قرشًا سنويًا (أُنزل الحكر إلى ثلث المبلغ السابق) وعن الأرض الملك 20 قرشًا، وتاريخ فرمان 29 ذي الحجة 1304 الموافق 17 أيلول 1887⁽¹⁾، وفي فرمان آخر، قرّر فتح طريق بين الزاوية القادريّة والزاوية النقشبندية بعرض خمسة أمتار، وقد استخدمت الطريق كحديقة، وفي سنة 1911/1329 قرر المرسوم تحويلها إلى طريق بدل الحديقة بسبب وجود شوارع عمومية في جانبي الطريق من الجنوب والشمال.⁽²⁾

أشير إلى مقال صدر في أوائل القرن الماضي، يتعلّق بالفرمانات التي صدرت حول بناء كنيسة الأرمن الكاثوليك فوق أرض حّمّامي السلطان، ويذكر أن أول فرمان صدر عن السلطان عبد الحميد كان في سنة 1886/1304، ويشير الكاتب إلى أن الحّمّام بُني على كنيسة قديمة ترجع للفترة الصليبية، ولاحقًا في القرن 14 وجدت كنيسة من العصر المملوكي ربما كانت تحت الحّمّام أو قريبة منه، كما يشير إلى المصادر التي ذكرت وجود الكنيسة في العصرين السابقين على الفترة العثمانية، ويرجع أول تمليك أو براءة صدرت بتمليك الأرض إلى سنة 1835، وأن الأرض تم شراؤها سنة 1856 بمبلغ 1600 ليرة ذهب تركي، ويقول إنه لم يعرف من قام ببناء الحّمّام المماليك أم العثمانيين⁽³⁾، وقد أشار العسلي إلى نفس المبلغ، ويبدو أنه أخذه من هذا المصدر.⁽⁴⁾

(1) الكنائس العربية في السجل الكنسي العثماني 1869-1922، جمع وترتيب وتحقيق عبد الرحيم أبو حسين وصالح سعداوي، عمان: المعهد الملكي للدراسات الدينية، 1998، ص: 40.

(2) المرجع السابق، ص: 44.

(3) Stephan, St. H. «Three Firmans Granted to the Armenian Catholic Community», In: Journal of the Palestine Oriental Society, Vol, 13, Jerusalem: Palestine Oriental Society, 1933, p.239- 240.

(4) كامل العسلي، من آثارنا، ص: 9-38، كما أن المعلومات التي وردت لدى أحمد العلمي مأخوذة من العسلي، أحمد العلمي، خاصكي سلطان، عكا: مؤسسة الأسوار، 2001، ص، 205-208.

الحفريات في المكان

تحدث نشرة صادرة من الكنيسة الكاثوليكية الأرمنية، التي بُنيت مكان حَمّامِي خاصكي سلطان بشكل مختصر جداً عن تاريخ الكنيسة التي كان مكانها خالياً من الأبنية إلا من حَمّام تركي، وقام الأب تافيتيان بابتياح الأرض من خلال تبرع من أحد أتباع هذه الكنيسة، وفي عام 1881 اكتشفت بقايا فسيفساء في المكان، وتذكر النشرة أن أول بناء شُيّد في الموقع كان سنة 1885، واكتمل بناء الكنيسة سنة (1) 1950

وقد تمت ثلاث حفريات في الموقع، ونشرت نتائجها في مقال، وليس للمقال علاقة بالحَمّام باستثناء العنوان، ومكان الحفريات الأولى في الزاوية الشمالية الشرقية بجانب طريق الآلام، وأخرى في غرب الموقع والثالثة في الجنوب، والهدف كان البحث عن سور المدينة القديم من هذا الجانب، وتم العثور على قطع متفرقة من اللقى في الحفريات، ويشير المؤلف إلى أن بعض أشكال الفسيفساء التي تقع في دير الأرمن بجبل الزيتون تشابه مع تلك التي اكتشفها في حفريات حَمّام السلطان، حيث تتشكل من معينات وفي وسط كل منها صليب صغير. (2)

(1) IVth Station of the Cross: Armenian Catholic Patriarchal Exarchate of Jerusalem.

(2) Charles Clermont-Ganneau, Archaeological Researches in Palestine during the years 1873 – 1874, vol 1, Excavations in the ground of Hammam al-Sultan, Pp. 78– 84; 335. London: Palestine Exploration Fund 1899.



الواجهة الغربية المتبقية من حمامي خاصكي سلطان

- حمام باب العمود

وردت معلومات عامة عن هذا الحمام في فترة مبكرة من الحكم العثماني، ففي سنة 1534/941 نجد ذكرًا للحمام باب العمود في سجل المحكمة الشرعية في القدس، حيث ورد اسمه «حمام العامود» وقد تم تأجيريه بمبلغ يومي 20 فضة حلبية مع وجود الماء، بتاريخ 1534/931 (سجل 4، صورة 276، ص: 1/549)، وفي الفترة المملوكية ذكر حمام باسم «حمام الشويح» بحارة باب العمود، ولا نستطيع التأكيد أو النفي إن كان المقصود هذا الحمام. (وثيقة رقم 497، فهرس وثائق المتحف، ص: 181). كما وردت إشارات إلى هذا الحمام في أكثر من مصدر حديث، ولكنها جميعًا عبارة عن تخمينات، ومعلومات متضاربة ومكررة، حيث ذكر أن اسم حمام العمود أطلق على حمام البطرک، اعتمادًا على ما ذكره كوهن ولويس، واعتمادًا على قول شلبي.⁽¹⁾

(1) Cohen and Lewis, Population and Revenue, p. 96– 97; Martin Dow, «the Hammams

وفي نفس الفترة أُجر حَمَّام علاء الدين بمبلغ يومي 36 درهماً فضة حلبية (سجل 4، صورة 265، ص: 4/528)، وحمّام العين بمبلغ يومي 200 درهم، (سجل 4، صورة 219، ص: 5/435). ويبدو أن موقع الحَمَّام وقربه أو بعده عن الحرم كان له دور في أجرة الحَمَّام، إضافة إلى إمكانية توفر الماء للحَمَّامات التي قرب الحرم بصورة أفضل.

حديثاً عُرف مكان حمّام باب العمود منذ فترة قصيرة⁽¹⁾، وقد تم ترميمه حالياً ليصبح المكان ديواناً لعائلة عبد اللطيف المقدسية، ويمكن الوصول إلى موقع الحَمَّام، من طريق باب العمود، فبعد دخول البلدة القديمة والوصول إلى نهاية الدرج الذي ينحدر من باب العمود، ومن هذه النقطة تتفرع أربعة طرق إلى داخل المدينة، طريق شارع خان الزيت من الجهة الشرقية ويوازيه شارع الواد من الغرب، حيث يسير الشارعان حتى نهاية السور من الجنوب، كما يتفرع خطان، واحد يتجه إلى الشرق ويوصل إلى الطريق الذي يدخل المدينة من باب الساهرة، والآخر إلى الغرب ويعرف «طريق الجبشة» حيث يقود إلى حارة النصارى، وعلى بعد حوالي 30 متراً في هذا الطريق يكون مدخل الحَمَّام إلى شمال الصاعد، حيث يدخل إليه من خلال مدخل مقبب ويسير إلى الغرب، وبعد 5 أمتار ينعطف إلى اليسار، ويجد أمامه قاعة مستطيلة شرق بغرب، بطول حوالي 17 متراً، وعرض 7 أمتار، يغطيها من أعلى ثلاث قباب متقاطعة، وفي أقصى الشرق من القاعة ثلاثة مداخل مقوسة، الأصغر فيها الجنوبي، حيث يقود إلى مكان مليء بالأتربة، وهذه عدة صور للقاعة الرئيسية والمدخل أثناء ترميم المكان في شهر حزيران 2021.

of Ottoman Jerusalem» in Ottoman Jerusalem», 2000, vol. 1, p. 520.

(1) الفضل في معرفتي بمكان الحَمَّام يرجع إلى توفيق دعادلة، حيث ذكر لي أن في المكان تجري ترميمات، وعليه قمت بزيارته عدة مرات واخذت بعض الصور له.



مجمع القاضي عبد الكريم

لا نعرف أي معلومات عن القاضي عبد الكريم بن حسين، وما توصلنا إليه من خلال سجلات المحكمة الشرعية، إنه عُيِّن في المحكمة الشرعية في القدس لأربع فترات متفرقة، وكان أول تعيين له في 12 شعبان 973 الموافق 1566 / 3 / 4، والفترة الأخيرة كانت في 23 رجب 985 الموافق 1577 / 10 / 6، وقد أصبح من الأثرياء كما هو متعارف عليه للقضاة، ونتيجة لأعماله التجارية والوظائف التي كان يشغلها خلال عمله.⁽¹⁾

(1) عن القاضي عبد الكريم وعن القضاة في القرن السادس عشر في القدس وموقعهم الاجتماعي والاقتصادي، انظر رسالة دكتوراة مقدمة للجامعة العبرية في القدس، خضر سلامة، المحكمة الشرعية في القدس في فترة السلطان سليمان القانوني 1520-1566: الجهاز القضائي والاداري.

من المتعارف عليه وجود حَمَّامات خاصة بالخلفاء والسلاطين أو الخلفاء، وبالتالي فإن الأشخاص الأقل مرتبة يقلدون من هم أعلى منهم رتبة، وقد استتبع ذلك وجود الحَمَّامات الخاصة في بعض مدن العالم الإسلامي، وتشير المصادر إلى أنه كان في حلب 195 حَمَّامًا، منها 31 حَمَّامًا خاصًا⁽¹⁾، وهذا هو المثال الوحيد في القدس على وجود حَمَّام خاص.

يقع المجمع الذي عمَّره وأسسَه القاضي عبد الكريم إلى الجنوب من حارة أولاد قطينة، والتي كانت تقع إلى الغرب من آخر سوق خان الزيت، وقد اشتمل هذا المجمع على إسطبلات وفرن ومعصرة وطاحونة ومعصرة، ونجد في وثيقة التأسيس (سجل 51، صورة 334-335، ص: 672-674) وصف كامل لما استحدثه القاضي من بيوت وغير ذلك، وما يهَمُّنا من هذا المجمع الحَمَّام الشخصي الذي أسَّسه ضمن هذا المجمع، وفي العادة تكون الحَمَّامات عامة لجميع الناس، إما أن يبنى حَمَّام خاص وبنفس المواصفات الموجودة في الحَمَّامات العامة، فهذا شيء غير متعارف عليه خاصة في مدينة القدس، وهذا هو الحَمَّام الخاص الوحيد الذي عثرنا على تفصيلات عن وصفه وبنائه وتكلفته، ولم تتعرض أيُّ من المصادر لذكر هذا الحَمَّام، ومن المؤكد أن مكان المنشآت التي أقامها القاضي، على الأقل يقع جزء منها حاليًا مكان الكنيسة الروسية، عطفًا على الوثائق التي أُطلعت عليها قبل وخلال البناء للقاضي، وهي تقع إلى الشرق من كنيسة الأقباط (دير السلطان) والتي يحدُّها شرقًا نهاية سوق خان الزيت، وهي المنطقة التي بنى فيها القاضي عبد الكريم الحَمَّام، ويصف الحَمَّام في الوثيقة كما يلي «وبصدر الإيوان من جهة الغرب حَمَّام يفوه بابه مشرقًا بباب عسقلاني، يُدخل منه إلى دهليز لطيف يتوصل منه إلى داخل الحَمَّام، ويشتمل على ثلاثة أقباء مشلح ووسطاني وبيت حرارة، وبالقبو الوسطاني حوض لطيف بالجهة الغربية، وللحرارة حوضان لطيفان من رخام أبيض مرمر، أحدهما بالجهة الشمالية والآخر بالجهة الغربية بأنبوبي نحاس أصفر، وقدرة نحاس وخزانين من آجر للماء الساخن، وحاصل برسم جمع الماء البارد ومرتفق، ومن الجهة القبلية بيت كبير يفوه بابه شمالًا، عمَّر بداخله قواطع مبنية بالحجر والشيد...».

(1) EI², 1986, vol. III, p. 139.

موقع المجمع في حياة القاضي

اشترى القاضي عبد الكريم الموقع من ورثة تاج الدين السكري⁽¹⁾، فأصل الموقع كان ملكاً لمحمد جلبي النقاش الذي كان مسؤولاً عن بناء سور القدس، واشتراه منه تاج الدين السكري سنة 1546 / 953 قبل أن يغادر جلبي القدس وينتقل إلى رحمة الله، وفي حجة الشراء التي وردت في (سجل رقم 23، صورة 257، ص: 524) يتبين لنا أنه دفع ثمن الموقع 200 سلطاني ذهب، وأن المكان كان يعرف قبل أن يملكه جلبي بدار الجوهري⁽²⁾، ويحتوي الموقع على علوي وسفلي وإسطبلين وساحة سماوية واحدة علوية والأخرى سفلية، ويوجد بأحد الإسطبلين بئر لخزن السيرج وكان يعرف سابقاً بالمعصرة، ونورد نص أكثر من وثيقة تتعلق بمجمع القاضي عبد الكريم، بسبب ندرة المعلومات عنه وعن الأبنية، وفيما يلي نص وثيقة الشراء من (سجل 23، صورة 257، ص: 524).

«بين يدي مولانا شمس الدين الأفندي ادعى عيد بك أمين خواص القدس والمتكلم على بيت مال القدس وحفظ مال الغياب بمحضر مصطفى جلبي كاتب الخاص

(1) الحاج تاج الدين بن أحمد السكري، كان من طائفة اللحامين في القدس، ويبدو أنه كان يمارس هذه المهنة في الفترة المملوكية، وفي الفترة العثمانية أصبح رئيس طائفة اللحامين، وفي سنة 1529 أصبح محتسب مدينة القدس، أي المسؤول عن الأسواق والأسعار وكل ما يتعلق بالتجارة من بيع وشراء ومراقبة الأسواق، وبالتالي نتيجة دخله أصبح من أثرياء المدينة، ولم أجد الوثيقة التي تشير إلى شرائه العقار في السجلات التي اطلعت عليها، عن المحتسب والسكري بشكل خاص انظر، خضر سلامة، «الاحتساب في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي»، نشر في المجلد 4 لسنة 2012، من كتاب الزراعة في بلاد الشام، تحرير محمد عدنان البخيت وحسين القهوتي، عمان: الجامعة الأردنية، 2012، ص: 457؛ Cohen, Amnon, Economic Life, P. 17- 19.

(2) ورد في (سجل 1أ، صورة 169، ص: 2، 334) اسم القاضي شمس الدين الجوهري، والقاضي أبو الحرم الجوهري وكانا من المستحقين بوقف المدرسة الطازية في سنة 1530 / 936، وعلى الأغلب أن للشخص الأول علاقة بهذا العقار لأنه كان له أعمال تجارية تتعلق ببيع العقارات، فقد وردت حجة شرائه لبيت في 24 محرم 1520 / 927، أنشأه المقر الشجاعى شاهين، وأعيد تسجيلها بعد أكثر من عقد من الزمن، تشير إلى شخص اسمه شمس الدين أبي البقاء محمد بن الشمسي محمد بن الجوهري المقدسي، حيث باع داراً في طريق باب الناظر ليازجي - أي كاتب - كافل لواء القدس أويس بك في سنة 1532 / 939 (سجل 2، صورة 66، صفحة 1 / 126).

والخواجة يوسف بن شوعة اليهودي العامل عند تاج الدين بن المرحوم المعلم شهاب الدين أحمد الشهير بابن السكري، وقال إن محمد جلبي النقاش توفي وإن من جملة مخلفاته جميع الدار بمحلة أولاد قطينة بقرب دير السلطان المعروفة بدار الجوهري قديماً وتشتمل على علو وسفل وبيوت وساحة سماوية سفلية ومنافع ومرافق وصهريج معدّ لجمع ماء الأشتية، والعلو يشتمل على ساحة سماوية وأطباق علوية ومرتفق وإسطلين سفلهما بأحدهما بئر معدّ لخزن السيرج ويعرف قديماً بالمعصرة المحدود قبلة الحاكورة وشرقاً الدرب السالك وفيه الباب المتوصل منه إلى الدار وفيه أيضاً باب الإسطل وشمالاً دار ابن [قطينة40] وغرباً دير السلطان وفيه باب الإسطل الثاني المعروف بالمعصرة وإن تاج الدين وضع يده على جميع الدار المحدودة أعلاه بغير طريق شرعي وسُئِلَ وأجاب أنه في شهر المحرم سنة 953/ 1546 اشترى من محمد جلبي النقاش وهو باع جميع الدار في حال حياته بثمن قدره من الذهب السلطاني 200 سلطاني بموجب رجعة المتوجة بختمه وشهادته بينة شرعية وأنه دفع له من الثمن 175 سلطاني في حال حياته وبق له في ذمتي 25 سلطاني.... وأحضر شهوداً على ذلك كما شهد على بيع الدار بيرام جاويش بن مصطفى.... وثبت ذلك لدى الحاكم الشرعي في أوائل صفر 957/ الموافق أوائل آذار 1550.

بدأ القاضي عبد الكريم بالتحضير للبناء والتعمير عن طريق تعاقد وكيله مع 12 شخصاً مسلمين ونصارى من قرية الطيرة⁽¹⁾، التي تقع إلى الشمال الغربي من رام الله، على بناء لتون لإنتاج الشيد وتزويد القاضي به بمبلغ 10 سكة ذهب بتاريخ 25 محرم 976 الموافق 1568 / 7 / 30. (سجل رقم 51، صورة 340، صفحة: 5/685)، ويجب الإشارة إلى أنه من المعلومات الواردة في وثائق سجلات محكمة القدس، نعرف ولا نفترض أن المنطقة

(1) في فلسطين خمسة قرى تعرف بهذا الاسم، والمقصود قرية تقع غرب رام الله، فهي الاقرب للقدس، فلا يعقل أن يحضر الشيد من طيرة حيفا او بيسان او قلقيلية، انظر: شراب، محمد، معجم بلدان فلسطين، عمان: الاهلية للنشر، 1996، ص: 510-511.

كانت تحتوي على معصرة⁽¹⁾ وبئر لحزن الزيت وغير ذلك، وأن القاضي أقام مجتمعه في

(1) منذ أكثر من قرنين تتبع المصنبة اوقاف عائلة الخالدي في القدس، وكانت ولا زالت بينهم وبين الاقباط دعاوى في المحاكم ومشاكل حول ملكية المصنبة، انظر على سبيل المثال حجة في سنة 1205 / 1790 (سجل 272، صورة 52، ص: 98-99). ويبدو أن المشاكل كانت موجودة في فترة شراء القاضي عبد الكريم المكان، فقد ورد وجود حاكورة بين الدير واملاك القاضي، وثبتت ملكيتها للقاضي حجة وردت في (سجل 51، صورة 342، صفحة 689 / 2) ونقول « شراء وكيل القاضي عبد الكريم الحاكورة الغربية وما تحتها من الاقباء القديمة الممتدة شرق بغرب الملاصقة لدار القاضي عبد الكريم بحارة اولاد قطينة من الشرق وداخله هي والحاكورة مع الصهريج في حقوق الدار المزبورة وحدها من القبلة زقاق غير نافذ يتوصل منه الى دير السلطان وغيره وشرق دار القاضي وشمالا دار اولاد قطينة وغربا دير السلطان واثبت المدعي بصحة ملكه من خلال حجة بابتياعه من ورثة المرحوم مولانا شيخ الاسلام الشرفي موسى الديرى وورثة المرحوم طورغود اغا بن محمود كامل الدار المحدودة من الغرب دير السلطان كما صدرت دعوى سابقة على تاج الدين بن احمد السكري المالك للدار المباعة اعلاه سابقا من جرجس بن يوحنا البيعقوبي المتكلم على دير السلطان بتاريخ 28 قعدة 971 الموافق 17 / 7 / 1564 ومن خلاصتها أن جميع الحاكورة والصهريج الملاصقة لدير السلطان من الشرق جارية في استحقاق المدعى عليه تاج الدين السكري دون جرجس المدعي بموجب التمسكات وعليه فان جميع ذلك ملك الافندي مولانا عبد الكريم وان حدودها من الغرب دير السلطان وان ذلك داخل في حدود دار مولانا المشار اليه وعليه ثبت أن الحاكورة وما سفلهما من العقود والصهريج ملك للقاضي عبد الكريم 25 محرم 976 الموافق 30 / 7 / 1568، ونورد حجة بناء المصنبة مع وكيل القاضي عبد الكريم:

«بمجلس الشريعة الغرا بمحرسة القدس الشريف لدى مولانا قدوة النواب وزبدة الفضلاء ذوي الالباب القاضي علي الحنفي الموقع خطه الكريم باعلي نظيره ... قاطع وكيل مولانا اشرف قضاة الاسلام حضرة مولانا افندي عبد الكريم مولى قضاء القدس الشريف وما مع ذلك وطابت بالمسرات اوقاته وليالية هو الحاج احمد بن بيرام الحلوتي في ذلك وفيما يأتي ذكره فيه على الوجه الاتي شرحه فيه الثابت توكيله عنه في ذلك كله لدى كاتبه الفقير شرف الدين علي العسيلي الشافعي المولى بالقدس الشريف خلافة بشهادة شهوده آخره ثبوتاً شرعياً كلاً من الأوستة محمود بن المرحوم الأوستة حسين بن نمر والمعلم إبراهيم بن الأوست محمد بن الحاج رمضان معمار باشي بمدينة القدس الشريف أصالة من نفسه وبالوكالة الشرعية عن والده المزبور في ذلك وفيما يأتي بيانه فيه الثابت توكيله عن والده المزبور في ذلك كله لدى كاتبه المذكور أعلاه بشهادة شهوده آخره ثبوتاً شرعياً بطريقه الشرعي والأوستة علي بن سيدي الجميع من العمارة بالقدس على بناء القبو السفلي الكائن بمدينة القدس بحارة اولاد قطينا الذي سيعمل مصنبة الملاصق لدار مولانا الأفندي المشار إليه أعلاه من الجهة القبليّة إلى أن يعقد ظهره ويقعده وذرع ذلك قبلة بشام عشرون ذراعاً (حوالي 13 مترًا) إلى أن يصار البناء إلى ثالث مدماك من الحائط القبلي بين الشباكين الكائنين بالمفرش سفلى القاعة العلوية وتكملة الستارة القبليّة وإبعاد الظهر عليها وذرع الجهة الشرقية الممتدة قبلة بشام عشرون ذراعاً وبناء باب جديد عسقلاني كبير ويشتمل القبو على ستة أقباء وعلى عشرة عضايد حيطه ووسطاني وإبعاد الظهر ويضربون صرارة ومغلقة ولهم في نظير ذلك وجميع ما يحتاج

منطقة كانت أصلاً تحتوي على مواقع اقتصادية ترجع للعصر المملوكي على الأغلب إن لم يكن قبل ذلك، ولكن مع الزمن اندثرت أو أهملت، وقام القاضي بشراء الموقع واستحدث فيه الحمام الذي أظن أنه لم يكن موجوداً قبله، وجدد البيت ووسّعه والفرن والمعصرة والقاعات والطباقي والمصاطب، فيما يلي نورد الحجة التي تم تدوينها في سجل المحكمة وتشتمل على ما قام به القاضي من بناء وإضافات وتأسيس، كما نضيف بدايات حجة المصروفات على أعماله المعمارية أيضاً.

نورد نصّ الوثيقتين متتابعتين، الأولى تتعلق بما عمّره وأسسّه وأنشأه القاضي عبد الكريم في الموقع ومن عمل فيه من أسطوانات وفعول (سجل 51، صورة 332-333، ص: 668-671)، وحاولنا تحقيق المصطلحات التركيبية في الوثيقة ليس بشكل كلي، ولكن حسب مقدرتنا وتوفر المراجع لدينا، والثانية من نفس السجل وتعلق بوصف للمباني في الموقع، وشهادة المعمارية في القدس بان القاضي بناها وعمرها وصرف عليها من حر ماله، وشهد على صحة ذلك 12 شخص من عليّة القوم في القدس (سجل 51، صورة

البناء من حجارة وجبش وحجارة زوايا وأوساط وسلب وإغلاق وعقاد وصرار وتراب وقف سمار وأنقرة وسوايل وأجرة معلمين وفعول ومؤون وثمن ماء ونحاتين ومقصين وغير ذلك مما لا بد منه ولا غنى له عنه ما عدا السيد والقصر مل فإن إحضارهما على حضرة مولانا الأفندي المشار إليه ... ما جملته من الذهب السلطاني مائة سلطاني ذهب مقبوض منها عشرين سلطانياً ذهباً ما هو بيد الأوستة محمد المزبور له ولولده إبراهيم عشرة سلطانية ذهب وبيد محمود له وللأوستة علي عشرة سلطانية ذهب القبض الشرعي بحضرة شهوده وبقية المبلغ المقاطع به وقدره ثمانون سلطاني ذهب يقوم بها لهم أولاً بأول إلى تمام العمل وعليهم الشروع في ذلك وإتمامه وقطع فرطه وأحكامه من يوم تاريخه فقاطعه على ذلك بذلك لذلك مقاطعة شرعية جرت بينهم في ذلك بإيجاب وقبول شرعيين بالطريق المرضي وتصادقوا على ذلك لذلك وتثبت الأشهاد عليهم ذلك لدى مولانا الحاكم المشار إليه بشهادة شهوده آخره مع صريح الإقرار بذلك لديه ثبوتاً شرعياً بطريق شرعية وعلى ما هو الواقع ودرى ذلك وحرر في عشرين شهر ذي القعدة سنة ست وسبعين وتسعين [1569/5/16]، شهود الحال، إسماعيل بن أبي بكر الشافعي / الخواجة شرف الدين بن أرغون / الخواجة جمال الدين / الخواجة علي بن شروين / الخواجة علي بن سموم / شمس الدين العنوسوي / الشيخ علي بن المصري / حرره الفقير أبو العون الديري» (سجل 51، ص: 2 / 1 / 675)، وفي نفس السجل، ص: 2 / 675، حجة بتاريخ 22 محرم 977 الموافق 1569 / 7 / 16 تشير إلى دفعة ثانية للأسطوانات مبلغ 30 سلطانياً ذهباً على العمل في بناء المصبنة، مما يشير إلى أن بناء المصبنة استغرق حوالي العشرة شهور.

334-335، ص: 672-674).

الوثيقة الأولى وتتعلق بثمان المواد التي اشتراها والمبالغ التي صرفها (سجل 51، صورة 332-333، ص: 668-671)

- «بسم الله الرحمن الرحيم

- هذه حجة مباركة الابتداء سعيد الانتها تشتمل على بيان ما صرفه مولانا.... مؤيد شريعة سيد

- المرسلين.... أشرف قضاة الإسلام.... عبد الكريم دامت فضايله ومعاليه وبلغه الله تعالى في الدارين

- ما يتمناه ويرتجيه على تعمیر وترميم وبناء بقية أماكن الدار الآتي ذكرها وتحديدتها فيه وإنشاء جميع الحمام الكاين بها وحفر أساسه وبناء المطبخ الكبير وبيت الكلار⁽¹⁾ الكائن به

- الإيوان⁽²⁾ على باب الحمام والمستراح⁽³⁾ الكائن به وإنشاء الرواق الكبير العلوي

(1) وهو بيت المؤنة، محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، بيروت: دار الفكر المعاصر، 1990، ص: 130.

(2) مكان واسع من ثلاث جدران وسقف لاستقبال الناس مثل إيوان كسرى وإيوان المسجد، وهي كلمة فارسية معربة وفي العمارة تعني وحدة معمارية مربعة أو مستطيلة الشكل لها ثلاث حوائط والجهة الرابعة مفتوحة، وإذا سُدَّ الإيوان بحائط من الجهة الرابعة فلا يقال له إيوان بل مجلس، والإيوان عادة يعلو بمقدار درجة أو أكثر عن باقي مسطحات المكان، دهمان، ص: 27؛ معجم الالفاظ، ص: 110.

(3) المستراح أو الكنيف، هو مصطلح يرجع للعصر المملوكي واستمر استخدامه في العصر العثماني، ويطلق على المرحاض، ويعرف أيضًا ببيت الراحة وبيت الخلاء، وهي تسميات قديمة لأن البدو كانوا يذهبون إلى الخلاء لقضاء الحاجة، وهو مكان محاط بسور أو جدران من خشب أو ما شابه، وقد يطلق على حظيرة الحيوانات، محمد أمين، المصطلحات، ص: 52، 104؛ عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص: 328؛ وهي كلمة تركية «Kenif» تعني مكان محاط بجدران غير

الراكب بناؤه على ظهر المفروش المشتمل على ثلاثة أو اربعين وعلى طبقة شرقية وطبقة غربية وقاعة كبيرة

- ممتدة شرقاً بغرب وما بها من طاقات وشبابيك جديدة وجامات⁽¹⁾ وزجاج وعمل رخام وبناء مستراح بالرواق المزبور وبناء فرن بالمطبخ المزبور وفي هدم بناء الستارتين الكائنتين على بابي

- البيتين الكائنين بالإيوان القديم التحتاني الشرقية والغربية وإعادة بنائهما وبناء صفة⁽²⁾ في الإيوان المزبور بصدرة ودرجة كبيرة ممتدة شرقاً بغرب يصعد منها إلى الرواق

- العلوي المزبور وجميع المعزل⁽³⁾ البراني بالقرب من دركاة باب الدار المزبورة أعلاه بالجهة الشمالية وتشتمل على ساحة سماوية وبناء المسطبة القبليّة بها الحوض⁽⁴⁾ المعدّ لجمع الماء

- برسم الموضوع والبيت السفلي الشمالي والبيت الكائن علو البيت المزبور يفوه بابه

مرتفعة، انظر:

Turkish and English Lexicon, p 1578.

(1) ومفردها جام وهي كلمة تركية تعني زجاج «Jumat» وهي فتحات الإضاءة التي تكون في قباب الحمامات وبألوان زجاجية مختلفة، وتكون على أشكال زخرفية مختلفة مثل القمريات التي مرت معنا سابقاً، محمد أمين المصطلحات، ص: 27.

(2) كلمة تركية Sofa وتعني مكان أو غرفة انتظار وتستخدم كمدخل للبيت أو المكتب، انظر: Turkish and English Lexicon, p. 1179.

(3) وهي قناة صرف المياه وجمعها معازل، محمد أمين، المصطلحات، ص: 110.

(4) مفرد أحواض وتستخدم لزراعة نباتات الزينة في البيت، وقد تكون من الفخار أو الحجارة أو غير ذلك، وفي هذا النص تعني أحواض لجمع الماء مثل الأحواض التي تكون أمام الأسبلة.

مقتبلاً يتوصل إليه من الساحة⁽¹⁾ المزبورة والحوض الزراعة والمرتفق⁽²⁾ الكائن
[...]

- وبناء باب مربع غربي يتوصل منه إلى ساحة سماوية غربية بها مسطبة مربعة ممتدة
قبلة ومرتفق بالجهة الشرفية بباب خشب وبناء المقعد⁽³⁾ الراكب على باب الدار
المزبورة يتوصل

- إليه من الطبقة العلوية داخل الدار المزبورة وثمان شيد وحجارة وأعتاب ورخام
وعقادي وتراب أحمر وقصر مل وحمرا وقنب وكتان وزيت ونقاشة وجبصين
وجامات زجاج وألواح خشب

- وحديد للشبائيك ورصاص وأصيار⁽⁴⁾ وحطب ودهان ملون وأنقرة ومسامير
وأجرة معلمين ونحاتين ونجارين وفعول وجبالين وسقايين وثمان ماء وغير ذلك
مما لا بد للعمارة منه ولا

- غنى لها عنه من قفف وسوابل (ربما كانت نوعاً من السلال) وأسلاك وأحبال
وسلب⁽⁵⁾ وجرار وغير ذلك الكائنة الدار المزبورة الموعود بذكرها أعلاه بالقدس
الشريف بمحلة أولاد قطينا المحدودة قبلة حاكورة [ترك فراغ]

- هناك وشرقاً الدرب السالك وفيه باب الدار يفوه مقتبلاً وبابا الفرن والمعصرة

(1) ساحة الدار وقد يكون فيها بئر ماء أحياناً، محمد أمين، المصطلحات، ص: 61.

(2) مكان للجلوس يحتوي على فرش أرضي ووسائد، 1804 Turkish and English Lexicon p.

(3) المقعد هو مكان للجلوس، والكلمة تستخدم للدلالة على وحدة معمارية تخصص للجلوس داخل
المبنى ويطل في الأغلب على حوش أو حديقة، محمد أمين، المصطلحات، ص: 113.

(4) ومفردها الصير بكسر الراء، وهي الحظيرة التي تجمع فيها الحيوانات، وقد يكون المعنى هنا الإطار
الخشبي للشبائيك.

(5) كلمة عثانية تعني نوعاً من السلال وجمعها سلاب

sellab. Turkish and English Lexicon p. 1069

- الكائنتان بها وشمالاً دار أولاد قطينا وغرباً دير السلطان (وهو دير الأقباط) الجاري ذلك كله بجميع حقوقه ومنافعه
- في ملك مولانا الأفندي المشار إليه..... بالابتيع الشرعي من قبل من له ولاية ذلك شرعاً بثمن حال مخصوم عن ذمته بالطريق الشرعي الشاهد له بذلك وثيقة شرعية سابقة على تاريخه
- أدناه حسبها صرف ذلك بشهادة الأوستة محمد بن المرحوم رمضان والأوستة محمود بن المرحوم المعلم حسين بن نمر المعمارين بالقدس في ما لا بد منه ولا
- غنى عنه من ماله وصلب حاله بإذن شرعي من قبل الشرع الشريف صرفاً شرعياً على ما يشرح [بإذنه] ويفصل فيه من حين شروعه في عمارة ذلك في مدة أولها سادس عشر جمادى
- الثاني 975 وإلى ختام شوال سنة ست وسبعين وتسعمائة وذلك خارجاً عما صرفه مولانا.... في عمارة الدار المزبورة بموجب دفاتر وحجج سابقة على تاريخه المعين أعلاه، فكان جملة ما صرفه مولانا الأفندي في هذه المدة المعينة أعلاه
- مبلغاً قدره 53928 بارة
- ومن ذلك ما هو ثمن شيد وأحجار وبلاط وعقادي وقصر مل وحديد وألواح خشب وأسباب وحطب وألواح جميز وسنوبر (سنوبر) وسنديان وقف سهار⁽¹⁾ وسوابل وثمان حديد
- وصناديق شامية وثمان طوب كبار وصغار وقواديس وشقف وحمرا وملح وصوان وجبصين وقنب وكتان وزيت وجبش وصرارة وقطن وورصاص وحور وغير ذلك

(1) نبات يعرف باسم الاسل، وتصنع منه المكانس، ويبدو انه يعمل منه القفاف لحمل مواد البناء،

Turkish and English Lexicon, p. 1076.

- من أدلية وسكب وحبال ونحاس وأجرة نقل القصر مل والشيد وأجرة نحاس
وثنم دهان ملون وأجرة نجارين ودهانين وحدادين وغير ذلك مما لا بد عنه

- ولا غنى منه في العمارة على ما يأتي بيانه وشرحه فيه

ويفصل المدفوعات المختلفة من أثمان مواد وأجرة فعول ومعلمين وغير ذلك على الشكل
التالي، ونقتصر على أول عدة سطور:

- بهاء (ثمن) شيد 170 قنطارًا (1870 بارة) / شيد أيضًا، 200 قنطار (2400 بارة) /
قصر مل 3400 قفة (600 بارة) / حديد على دفعات 90 بثمان (810 بارة) / قفف
سهار عدد 10 وسوابل 10 (90).

- ثمن ألواح خشب وأصيار عدد 170 (220) / شيد 350 قنطارًا (2600) / قصر مل
4800 قفة (800) / حجارة مقصبة وسلس ونحت وزوايا وكلاب وعرق⁽¹⁾
(6251) / رخام لأجل الحمام وغيره (400) / أعتاب⁽²⁾ كبار وصغار للدرج
(250).

- بلاط عقادي عدد 50000 (3000) / صرار وجبش وتراب (475) / تراب أحمر
وصوان وملح للفرن (80) / حمرا للقصاره 200 مد (240) / زيت الملتينة ومرهم
للأنبار (المخازن) والأحواض 75 (360 بارة) / قطن وكتان للملتينة (90).

(1) هذه أسماء لقطع الحجارة وأنواعها من ناحية أسلوب نحتها واستخدامها، وبعض الأسماء لازالت
مستخدمة حتى الآن.

(2) ومفردها عتبة، وتطلق في العمارة عادة على الحجر الذي يعلو الباب أو تكون في أسفله، وهنا تستخدم
لحجارة الدرج على اعتبار أنها قطعة واحدة مثل عتبة البيت.

- رصاص لأجل الأسيار والرزز⁽¹⁾ والسكك 8 (64)/ جامات زجاج وقماري⁽²⁾
 ملون وأجر (1200)/ حديد للشبابيك والسكك والأسيار وصنايح الباب⁽³⁾
 (450)/ قصر مل 3600 قفة (600)/ وسنديان وقف سمار عدد 150 وسوابل
 عدد 15(210)/ صناديق شامية 50 (250).

- ألواح صنوبر كار عراض وألواح سنديان وأسيار (1280)/ جبصين للقصارة 60
 قنطار (800)/ قنب للقصارة 120 (1500)/ شيد 445 قنطارًا (3130)/ نحاس
 للحلق واللوايب والبكر وأجرة نحاس (280)/ ألواح جميز وصنوبر وأسيار
 (400).

الحجة الثانية من السجل نفسه (رقم 51، صورة 334-335، ص: 672-674)، وتشتمل
 على وصف للابنية وتكلفة كل بناء:

- الحمد لله هذه حجة صحيحة شرعية وثيقة صريحة مرعية يعرب مضمونها المكنون
 ما في معناه المصون من ذكر ما وقع وتحرر بمجلس

- الشريعة المطهرة الغرّاء ومحفل الطريق النيرة الزهرا بمحروسة القدس الشريف العلي
 المنيف شرفه الله تعالى وعظمه وحماه وكرمه

- ثبت بالطريق الشرعي المحرر المرعي لدى مولانا العلامة قدوة النواب.... القاضي
 شرف الدين

(1) ومفرد هارزة، وهي كلمة تركية تعني رزة الباب، أي القطعة التي تربط الباب بالحلقة وهي تكون
 من الحديد.

P. 972. Turkish and English Lexicon,

(2) كلمة مأخوذة من القمر وتشير إلى زجاج مقصوص على شكل أهلة وألوان مختلفة، ويوضع في
 سقوف الخيامات والقباب لإعطاء إضاءة تنعكس من الشمس بألوان حسب لون القماري.

(3) صنايح ومفرد هارزة صنجة بضم الصاد، وهو مصطلح يشير إلى العقود الملونة المتناوبة التي تحيط
 بالباب، انظر: عبد الكريم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص: 253.

- الشافعي المولى بالقدس الشريف وخلافه الواضع خطه الكريم أعلاه.... وبشهادة الأوسته
- محمد بن المرحوم الحاج رمضان والمعلم محمود بن المرحوم الأوسته حسين بن نمر، كل منهما معمار باشي بمدينة القدس الشريف والمعلم دياب
- ابن المرحوم رمضان والمعلم خليل بن المرحوم خليل يعرف بالزمار، كلهم من العمارة بالقدس الشريف ومن أهل الخبرة التامة المعروفين عنده المقبولين
- لديه شرعاً بعد التزكية والتعديل الشرعي معرفة مولانا أشرف قضاة الإسلام.... ميين الأحكام
- بالأحكام.... حضرة مولانا وسيدنا قاضي
- القضاة.... أفندي عبد الكريم المولى بقضاء القدس وما مع ذلك..... وبلغه ما يتمناه ويرتجيه [بأن]
- وجميع الأماكن المستجدة الآتي تعيينها ووصفها فيه الكاينة بالدار الكاينة بمدينة القدس الشريف بحارة أولاد قطينا المشتملة
- على علو وسفل وطباق ومسكن ومنافع ومرافق وإسطبلات وفرن ومعصرة وطاحونة جميع ذلك متلاصق بعضه ببعض
- ويحد كاملها بتمامها وكماها حدود أربعة، من القبلة حاكورة هناك تعرف بحاكورة (ترك فراغ ولم يكتب اسمها) ومن الشرق الدرب السالك وفيه باب
- الدار يفوه مقتبلاً ومن الشمال دار أولاد قطينا ومن الغرب دير السلطان الجارية جميع الدار والأماكن الآتي تحديدها وتعيينها
- فيه في ملك الأفندي المشار إليه.... بالابتياح الشرعي من قبل من له ولاية ذلك

شرعاً بضمن حال مخصوص

- عن ذمته بالطريق الشرعي يشهد له بجريان ذلك كله في ملكه وحيازته وثيقة شرعية ثابتة بالطريق الشرعي لدى موالينا الحكام
- النافذة الأحكام، آخرها لمولانا الحاكم الشافعي المشار إليه أعلاه دام علاه، مؤرخة في سادس عشر شهر القعدة سنة ثلاث وسبعين
- وتسعيمة المعرفة الشرعية الثابتة النافية للجهالة شرعاً وأن جميع الأماكن المستجدة الآتي شرحها ووصفها وتعيينها فيه
- ملك من أملاك مولانا الأفندي.... وواجب من واجباته وأنه أنشأ
- بالدار المحدودة أعلاه حين شروعه في عمارتها جميع الأماكن المستجدة الموعود بذكرها أعلاه المشتملة على إيوان كبير يفوه بابه مشرقاً وبداخله
- مطبخ كبير شمالي به بيت شرقي معد للكلاز وفرن شرقي وحوض كبير برسم جمع الماء وبصدر الإيوان المزبور من جهة الغرب حمام يفوه بابه مشرقاً
- بباب عسقلاني يدخل منه إلى دهليز لطيف يتوصل منه إلى داخل الحمام المزبور ويشتمل على ثلاثة أقباء مشلح ووسطاني وبيت
- حرارة وبالقبو الوسطاني حوض لطيف بالجهة الغربية وبالحرارة حوضان لطيفان من رخام أبيض مرمر، أحدهما بالجهة الشمالية والآخر
- بالجهة الغربية [بأنبوبين؟؟؟] نحاس أصفر وقدرة نحاس وخزانين برسم الماء الساخن وحاصل برسم جمع الماء البارد ومرتفق بالإيوان المزبور
- بالجهة القبلية بيت كبير يفوه بابه شمالاً عمراً بداخله قواطع مبنية بالحجر والشيد برسم خزن المون وأنه نقض واجهتي البيتين المتقابلين

- الكائنين بالإيوان الكبير الشمالي الكائن بالساحة الكبرى من الدار المزبورة، أحدهما غربي والآخر شرقي وأعاد بناءهما على حكمه القديم بناءً جديداً محكماً
- وصفت مبنية بالحجر والشيد بصدر الإيوان المزبور بالجهة الشمالية بين البيتين المزبورين بدرابزين خشب محكم بدهان أحمر وعلى باب كل من البيتين
- المزبورين باب جديد بخشب جديد محكم وبالبيت الغربي طاقة قبلية بشباك حديد وباب خشب جديد محكم وبجته الشمالية خزانة علوية
- بباب خشب جديد محكم مدهون بدهان أخضر وخزانة سفلية بالجهة الشمالية وبالبيت الشرقي المقابل للبيت الغربي المزبور طاقة قبلية
- بشباك حديد وباب خشب مدهون بدهان أخضر وعلوها طاقة كبيرة مركب عليها جام حديد بشريط نحاس بظاهرها وبالساحة المزبورة حوضان
- برسم الزراعة، أحدهما غربي ممتد قبلة بشام وينعطف شرقاً والآخر شرقي ممتد قبلة بشام به شجرة رمان وأشجار نارنج وستارة لطيفة
- ممتدة قبلة بشام على الباب المتوصل منه إلى الساحة المزبورة وممرمة الدرجة اللطيفة المتوصل منها إلى الباب المزبور وبالساحة المزبورة أيضاً بالجهة الغربية
- سلّم حجر بدرابزين خشب ممتد شرقاً بغرب مستطيل ويتوصل منه إلى باب يفوه شرقاً يدخل منه إلى دركاة لطيفة بها بابان، أحدهما شمالي يتوصل منه إلى
- سطح الحمام وسطح بيت الكلار والمطبخ والمرتق وستائر عالية مانعة محيطة بأسطح الأماكن المزبورة أعلاه وبالسطح المزبور مدخنة الحمام
- المذكور والآخر قبلي يتوصل منه إلى ساحة كبيرة ممتدة شرقاً بغرب معقودة بثلاثة أو اوين، اثنتان منها يفوه باب كل منهما شمالاً مطل كل منهما

- على الساحة السفلية والإيوان الثالث غربي [...] وداخل الساحة الكبيرة قاعة كبيرة ممتدة شرقاً بغرب إيوانين، أحدهما شرقي والآخر غربي
 - وقبة بوسطهما وبالقاعة المزبورة مخدع لطيف شرقي يفوه بابه غرباً وثلاث طاقات بالجهة القبليّة بشبابيك جديدة وستة خزائن بأبواب خشب جديدة
 - محكمة بدهان ملون وبالجهة الشرقية خزانتان ملاصقتان لباب المخدع وبالجهة الشماليّة طاقتان مطلتان على ساحة الإيوانين المزبورين مركب على
 - باب كل طاقة منها شباك حديد وأربع خزائن بأبواب خشب محكمة بدهان ملون وبالجهة الغربية خزانتان بأبواب خشب جديدة محكمة [وبالغرف]
 - المزبورة طاقتان علوية مركب على باب كل طاقة جام من الزجاج الملون منها بالجهة القبليّة ثلاث طاقات ومنها بالجهة الشرقية طاقتان
 - ومنها بالجهة الشماليّة ثلاث طاقات وبالجهة الغربية طاقة وبالساحة المزبورة أيضاً بالجهة الشرقية بيت كبير يفوه بابه مغرباً به طاقة شمالية
 - مظلة على الساحة السفلية بشباك خشب مخروط وبه صفة مبنية بالحجر والشيد بدرابزين خشب يحيط بها وبالساحة
- ص: 673
- المزبورة أعلاه أيضاً كنيف شمالي وبيت كبير بالجهة الغربية ووجاق⁽¹⁾ مبني بالحجر والشيد بالجهة الغربية وبه بادهج؟ وطاقة علوية بالجهة القبليّة برأس
 - الترس مركب عليها جام زجاج ملون وعلى باب كل إيوان من الإيوانين المطلقين على الساحة السفلية درابزين من خشب محكم مدهون بدهان

(1) الوجاق هو المدخنة أو الموقد الذي يستخدم للتدفئة والطبخ، وهنا على الأغلب يشير إلى مكان منفصل عن داخل البيت من أجل تحضير الطعام، عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص: 440.

- أخضر وجميع المعزل البراني بالقرب من دركات باب الدار المزبورة أعلاه بالجهة الشمالية ويشتمل على ساحة سماوية مضرورة بالقصر مل، وبالساحة
- المزبورة بالجهة القبليّة مسطبة ممتدة قبلة بشام مربعة شرقاً بغرب بها طاقة لطيفة قبليّة بشباك لطيف وحوض كبير ملاصق المسطبة معدّ لجمع ماء
- برسم الموضوع والاستعمال وبالجهة الشمالية بيت سفلي علوه بيت يفوه بابه قبلة يتوصل إليه من الساحة المزبورة وتجاهه حوض جناني برسم
- الزراعة ومرتفق بالجهة الغربية وبالساحة المزبورة باب مربع عربي يتوصل منه إلى ساحة سماوية غربية بها مسطبة مربعة ممتدة قبلة بشام
- ومرتفق بالجهة الشرقية بباب خشب جديد محكم وجميع المقعد الراكب على باب الدار المزبورة يتوصل إليه من الطبقة العلوية داخل الدار المزبورة أنشأ
- مولانا الأفندي المشار إليه... ويشتمل بناء المقعد المزبور على عقد لطيف ممتد قبلة بشام به طاقة قبليّة مطلة على الدرجة
- المزبورة المتوصل منها إلى باب الدار المزبورة فيه أعلاه وعلى الحوش البراني بشباك حديد وقندلون شرقي بوسطه عامود رخام أبيض من الرخام
- المرمر ويتوصل إلى المقعد المزبور من الطبقة المزبورة من باب شرقي يفوه بابه مغرباً مركب عليه باب خشب جديد محكم ويدخل منه إلى باب ثانٍ مركب
- عليه شباك حديد يدخل منه إلى المقعد الكائن به الروشن⁽¹⁾ المعرفة الشرعية التامة النافية للجهالة شرعاً وأن جميع الأماكن المستجدة المعينة أعلاه
- ملك من أملاك الأفندي المشار إليه... وإنشاؤه من غير معارض ولا منازع ولا

(1) وهي كلمة فارسية «روزن» بمعنى الكوة أو الشرفة وهي تؤدي وظيفة الصالون الصنفي وجميعها رواشن أو رواشين، رياض غنيم، معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية الدخيلة، 170؛ محمد أمين، المصطلحات، ص: 58.

- رافع ليده عن ذلك..... وأنه إنشاء بالدار المحدودة أعلاه جميع الأماكن المعينة والمبينة أعلاه حين شروعه
- في عمارتها وإنشائها وقصارتها وإصلاح وتركيب شبابيك حديد على أبواب الطاقات وعمل أبواب خشب لأبوابها ولأعلافها وخزائنها وثمان مسامير
- ودرس وألواح خشب وأصيار ودهان ملون وأجرة معلمين وفعول وثمان شيد وقصر مل وجبصين وزيت وكتان وقنب وثمان حطب وخشب وأجرة
- شغل شيد وقصر مل ونجارين وقفاف سمار وأنقرة خشب [ربما حفر خشب] وغير ذلك وبناء قناطر جديدة، أنشأ جميع ما عيّن أعلاه حين شروعه في التعمير وعمّر ذلك وبناءه بآلات
- جديدة ابتاعها من ماله وصلب حاله واستهلكها في عمارتها ومرمتها إلى أن صارت على هيئتها وصفتها التي هي عليه الآن مستحق البقاء والدوام
- محترمة بحرمة الشرع الشريف أي احترام، وأنه أنشأ ذلك كله كذلك بالحجارة الجديدة النحت والمقصب والأوساط والسهام والقنطرات والزوايا والشيد
- والحمر والقصر مل وثمان حديد وأجرة حدادين ونحاسين وسرايل وقفف سمار وأنقرة خشب وصناديق خشب شامية وألواح خشب جميز
- وبلوط وسنوبر وأصيار وورصاص وحطب وأجرة نجارين في المدة الآتي تعيينها فيه ودهان وقصارة حسن شروعه في العمارة والإنشاء
- في مدة أولها سادس عشر شهر جمادى الثاني سنة خمس وسبعين وتسعمائة وإلى ختام شوال سنة تاريخه أدناه وأن جملة ما صرفه مولانا الأفندي المشار إليه (4 شهر و14 يوماً)

- من ماله وصبت حاله في إنشاء وعمارة الأماكن المعينة أعلاه من القطع الفضية
السلمانية الجارية في المعاملة يوم تاريخه أدناه، أربعة وثلاثون
- ألف قطعة وثمانماية وتسعون قطعة الصرف الشرعي بالطريق الشرعي بإذن شرعي
صدر له في ذلك من قبل الحاكم الشافعي المشار إليه أعلاه، وأنه
- صرف ذلك في ثمن حجارة وشيد وجبصين وقنب وجامات زجاج وبلاط عقادي
ورخام وأحواض وأعتاب وبراطيش
- وتراب أحمر وملح وصوان وهور وصرار وزيت وجبش وقطن وورصاص ومسامير
برسم عمال الشعاري وغير ذلك من الآلات التي لا بد
- للبناء منها ولا غنى له عنها، إلى أن صارت الأماكن المزبورة أعلاه على صفتها التي
هي عليها الآن وكمل بناؤها وارتفعت حيطانها وغمست أقبائها وستر ظهورها
وعقد
- قناطرها وركب منجورها على أبواب أماكنها وخزائنها وأبواب طاقاتها وسلات
جدرانها وجعلها مقطوعة الفرط [أي لا مثل لها] وصرف على ذلك من ماله
وصلب حاله ووضع يده
- عليه وتصرف بجميع حقوقها التصرف الشرعي بطريقة شرعية وأنه أنشأ جميع البناء
المعين أعلاه باشتمالاتها كلها وحقوقه بأمرها وجعلها
- مقطوعة الفرط وصرف على ذلك من ماله وصلب حاله ووضع يده عليه وتصرف
فيه تصرف الملاك في أملاكهم وذوي الحقوق في حقوقهم بيد ثابتة
- مستمرة ومستقرة الحكم بالطريق الشرعي دون المنازع والمعارض من حين الإنشاء
وإلى يوم تاريخه أدناه وأن ذلك بتمامه وكما لم ينتقل عن ملكه بناقل

- شرعي إلى يوم تاريخه أدناه وذلك بعد أن توجه مولانا الحاكم المشار إليه بنفسه الكريمة إلى الدار المحددة أعلاه وكشف الأماكن المستجدة المزبورة أعلاه
- فوجدها على الوجه المشروح أعلاه وعابنها معاينة شرعية بالطريق الشرعي حسبما يشهد أيضًا مولانا الأفندي المشار إليه أعلاه دام علاه بصرف المبلغ المزبور
- أعلاه جملة وتفصيلاً [ب] دفتر ممضي على الحاكم الشافعي المشار إليه أعلاه مؤرخ في تاريخه أدناه وأن مولانا الأفندي المشار إليه أدام الله نعمته عليه ورحم والديه
- صرف أيضًا من ماله وصلب حاله في أجرة معلمين وفعول وسقايين وحمالين ومقصبين لـ [للحجارة] وجبالين ومونة وغير ذلك مبلغاً قدره من القطع
- السلیمانیة تسعة عشر ألف وثمانية وثلاثون قطعة الصرف الشرعي بطريق شرعي حسبما يشهد أيضًا بمفردات ذلك أولاً وثانياً الدفتر المنبه
- عليه أعلاه المؤرخ في تاريخه أدناه وأن جملة ما صرفه مولانا الأفندي المشار إليه أحسن الله إليه ورحم والديه في عمارة الأماكن المعينة أعلاه
- أولاً وثانياً في جميع ما عُنِّ أعلاه في المدة المعينة أعلاه مبلغاً قدره من القطع الفضة السلیمانیة ثلاثة وخمسون ألف قطعة وتسعمائة قطعة وثمانية
- وعشرون قطعة الصرف الشرعي بطريقه الشرعي ومضاف ذلك [إلى] ما صرفه مولانا الأفندي المومي إليه أسبغ الله تعالى عليه ورحم والديه في عمارة الدار
- المزبورة أعلاه أولاً حين شروعه في العمارة وقدره من القطع الفضة السلیمانیة (6835) في مدة
- أولها غرة ربيع الأول سنة 974 إلى ختام شهر شعبان سنة 974 الصرف الشرعي بطرقه الشرعية بدلالة

- دفتر شرعي ممضي على الحاكم الشافعي المشار إليه أعلاه مؤرخ في ثاني شهر شوال سنة 974 ومضاف أيضًا ما صرفه في عمارة
- الدار المزبورة أعلاه ثانيًا حين شروعه في العمارة وقدر ذلك (8354) قطعة في مدة
- أولها غرة شهر رمضان سنة 974 وإلى ثامن عشر القعدة من شهور السنة المزبورة
- الصرف الشرعي بطريقه الشرعي بدلالة
- وثيقة شرعية ودفتر يشهد بمفردات المبلغ المزبور مؤرخين في أواخر القعدة سنة 974
- ص: 674 ومضاف ذلك أيضًا ما صرفه مولانا الأفندي من ماله في عمارة الدار المحدودة أعلاه ثالثًا حين شروعه
- في العمارة وقدره (11469) قطعة في مدة ابتداءها 29 قعدة سنة 974
- وإلى 15 جمادى الثاني سنة 975 الصرف الشرعي بالطريق الشرعي ويشهد بقضية صرف المبلغ المزبور جملة
- وتفصيلًا دفتر ممضي على الحاكم الشافعي المشار إليه أعلاه مؤرخ في 8 جمادى الثاني سنة 975 يكون جملة ما صرفه
- مولانا الأفندي عبد الكريم المشار إليه بأعاليه دامت فضايله ومعاليه في عمارة الدار المحدودة أعلاه ثمانون ألف قطعة وخمسة مائة وستة
- وثمانون قطعة (80586) عنها بحساب الذهب السلطاني مبلغًا قدره ألفا سلطاني ذهب وأربعة عشر سلطانيًا ذهبًا وستة وعشرون قطعة (السلطاني يساوي تقريبًا ثمانون قطعة فضية)
- نصف ذلك تحقيرًا لأصله وضبطًا لجملته ألف سلطاني ذهب وسبعة سلطانيًا وثلاثة

عشر قطعة فضة سليمانية الصرف الشرعي

- بطريقه الشرعي لما هو مبين أعلاه ثبوتاً شرعياً بعد تقديم دعوى شرعية صدرت في

ذلك بالطريق الشرعي بوجه الشيخ جمال الدين

- يوسف بن الشيخ سعد الدين محمد بن ربيع البائع لمولانا الأفندي المشار إليه أدام الله

نعماه عليه ورحم والديه نصف الدار المحدودة أعلاه

- وإعذاره في ذلك الإعذار الشرعي بطريقه الشرعي وأنه أيده الله تعالى وأدام تأييده

ورزقه من الخير مزيده حكم بموجب ما ثبت

- عنده ومن موجه تقديم هذه البيئته الداخلة ذات اليد على بيئته تعارضها من خارج

تملك أو وقف أو تملك سابق أو

- غير ذلك تقدم تاريخها أو تأخر [أربعة أسطر لم تنسخ لأنها تثبت وتأكيد على

التملك] وثبت لدى مولانا... الحاكم الحنفي الموقع أعلاه

- ما نسب لمولانا الحاكم الشافعي بشهادة شهوده... وأنه أنفذ الله تعالى أحكامه نفذ

حكم مولانا الحاكم الشافعي المشروح أعلاه وقبله وأمضاه وأجازته... وجرى

ذلك في تواريخ متفرقة، آخرها غاية شهر شوال سنة 976.

- شهود الحال (12 شخص): بدر الدين بن الدويك / أحمد بن إبراهيم خادم السيد

موسى الكلبي / محمد رمضان المعمار بالقس / إسماعيل بن أبي بكر / حرره أبو

العون الديري / سليمان الخلوتي / جمال الدين بن ربيع / محي الدين المتولي دار

الشفاء بالقدس / محمود الديري / الأوستة محمود بن نمر / وتحمل الحجة علامة

الحاكم الشافعي شرف الدين بن علي العسيلي الشافعي المولى بالقدس / علي بن

حسن الحنفي المولى بالقدس.

وصدر ذلك بوجه الشيخ جمال الدين يوسف بن الشيخ سعد الدين محمد بن ربيع البائع

لمولانا الأفندي

الموقع بعد وفاة القاضي عبد الكريم

من خلال الوثائق التي تم العثور عليها نعرف أن أصل المجمع الذي بناه القاضي عبد الكريم، انتقل بعد حوالي ربع قرن بالشراء إلى والي القدس سليمان باشا⁽¹⁾ (قتل في شوال سنة 1588/997 بناء على معلومة جانبية وردت على الصفحة الأولى من (سجل 67)، وفي (سجل رقم 80، صورة 272-273، ص: 540-541) بتاريخ 15 قعدة 1007 الموافق 1599/6/8 وردت وثيقة تم تسجيلها في محكمة بغداد، وتم إعادة تسجيلها في سجل محكمة القدس لأنها تتعلق بأملك موجودة أو موروثه في مدينة القدس، ومن مضمونها أن الخاتون بهاه (أويهاه) مشتري ابنة عبد الله (هذا يعني أنها جارية) كانت زوجة؟ لسليمان باشا وأنجبت منه محمد بك، وقد تم تقسيم الإرث بينهم «بطريق المقايضة»، حيث أصبحت الأملاك التي تملكها سليمان باشا في القدس، ومن ضمنها ما اشتراه من ورثة القاضي عبد الكريم ملكاً من أملاك بهاه، في حين أصبحت الأملاك الموروثة عن سليمان باشا في ولاية دمشق الشام وولاية بغداد ملك لابنها محمد بك، وفي تاريخ 15 رجب 1012 الموافق 1603/12/1 وردت حجة تأجير من وكيل أم ولد المرحوم سليمان باشا وهي بهاه مشتري ابنة عبد الله (أعلاه) دار بحوش سليمان باشا بمحلة النصارى، بزقاق أولاد حبش بيوت علوية وسفلية وإسطل، ويجدها من الغرب دير السلطان وقف القبط (سجل 84، صورة 105) كما وردت حجة بتاريخ 5 ربيع الأول 1022 الموافق 1613/4/24 في (سجل 94،

(1) واسمه سليمان بك بن قباد بن خليل بن رمضان، حيث ولي نيابة القدس، وقد أوقف أربعة سنة 1575/983 من عشرة أجزاء ومكانها في قبة الصخرة، على أن يقرأ فيها عشرة قراء بعد صلاة الصبح في باب اللجنة كل يوم، كما ولي نيابة جرجة في مصر وبغداد ثم نيابة قرمان وهي البلاد التي نشأ فيها هو وأجداده، وقد صدرت عدة أحكام لمحاكمته بسبب الشكاوى الكثيرة التي رفعت ضده، سواء ما يتعلق بقتل المسلمين، أو بسبب استخدام مواد الترميم المخصصة للحرم في ترميم بيته، وقد ولي دمشق سنة 1582/990، وفيها قتله عبيده ليلة الخميس 10 رجب سنة 1588/997. انظر عن الربعة وحياته، خضر سلامة، المخطوطات القرآنية في المتحف الإسلامي، ص: 124-133؛ نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط2، 1979، ج 3، ص: 157-158.

Heyd, , Ottoman Documents on Palestine p. 62, 156.

صورة 109-110) تشير إلى دفع مقبول آغا بن عبد الله⁽¹⁾ معتوق سليمان باشا بن قباد الوكيل عن نور الصباح بنت عبد الله بن إسماعيل بك بن سليمان باشا دين على نصف أجرة المصبنة المخلفة عن سليمان باشا الواقعة بجانب دير الأقباط.

الخلاصة

إن المصدر الأساسي لهذا المقال هو سجلات المحكمة الشرعية في القدس، ولهذا المصدر دور أساس في معرفة تاريخ المدينة في الفترة العثمانية بشكل خاص، وفي الفترات الإسلامية السابقة بشكل عام، فهو يحتوي على عشرات الآلاف من الوثائق التي تتعلق بجميع نواحي الحياة في المدينة، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها. ويكشف هذا المقال عن وجود حمامات مجهولة اندثرت مع الزمن، وكانت معرفتنا بها تقتصر على الأغلب على اسم الحمام، والفضل في معرفتنا يعود إلى سجلات المحكمة الشرعية.

فقد وردت وثائق تتعلق بتأجير حمام باب العمود، ولكن لا أحد كان يعرف موقع الحمام، وفقط حديثاً عندما قامت عائلة عبد اللطيف المقدسية بترميم المكان، عرف مكانه لأنه كان مغلقاً وغير مستخدم.

كانت الحمامات في مدينة القدس حمامات عامة وملكاً للأوقاف، وقد وُجد في مدينة القدس حمام واحد فقط ملك لشخص، وهو الذي بناه القاضي عبد الكريم، كما نجد حماماً وحيداً مختصاً بالنساء، وقبل بناء حمام خاصكي سلطان للنساء كان يُخصّص لهن وقت محدد للذهاب إلى الحمام.

(1) وردت حجة عتق السيد مقبول في (سجل 75، صورة 20، ص: 37) كما يلي « أشهد عليه الأخوان الشقيقان يوسف بك أمير لواء القدس سابقاً وأبو الفداء إسماعيل بك ولدا المرحوم أمير الأمراء سليمان باشا ابن أمير الأمراء قباد باشا بن رمضان كافل المملكة البغدادية ومستحفظ البلاد الشامية سابقاً أنهما أنجزا تحرير مرقوقها حامل هذا الكتاب المدعو مقبول آغا بن عبد الله الطويل القامة مشطب في أنفه وخديه وبرجله اليمنى آثار جرح 24 رجب 1588 / 997».

عند مقارنة تكلفة حمامي خاصكي سلطان مع حمام القاضي عبد الكريم، نجد أن كلاً من الحمامين قد اشترى 50000 طوبة لبناء جسم الحمامين، مما يشير إلى أن حمام القاضي يتساوى مساحة مع الحمامين، ولكن تكلفة البناء للحمامين تصل إلى حوالي ضعف تكلفة بناء حمام القاضي، فقد تكلف بناء الحمامين 3600 ليرة ذهب، في حين كلف بناء حمام القاضي 2000 دينار ذهب، كما اندثر كل منهما في فترات مختلفة، وتحوّل إلى عقارين لديانة أخرى نتيجة الحكر الذي أوجده مشايخنا.

في القرنين الماضيين، تحول حمامي خاصكي سلطان إلى كنيسة للأرمن الكاثوليك، وتم العثور على عدة وثائق تتعلق بتحكير الحمام، كما تم عمل حفريات قبل بناء الكنيسة، ونشرت في عدة مصادر، وفي فترة لاحقة تحول حمام القاضي إلى كنيسة روسية، ولم أجد أية معلومات عن هذا الحمام كيف تم تحكيره أو شراء الأرض وكيف انتقل إلى الروس، والإشارة الوحيدة تتعلق بالحفريات التي تمت في الموقع ذكرت في بعض المصادر، ولم تشر من قريب أو بعيد إلى وجود أبنية في الفترة الإسلامية قبل بناء الكنيسة.